ECSS
المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية
EGYPTIAN CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

تقديرات مصرية
إصدار شهري

التصعيد الإسرائيلي - الإيراني

الأبعـــاد والمخاطـــر

السنـــة الخامسة - مايو 2024 - العـــدد 59

www.ecss.com.eg

ECSS

المـركز المـصـري
للفكر والدراسات الاستراتيجية
EGYPTIAN CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

2024

"تعاونكم أساس تقدمنا"

لا يجوز نسخ او استعمال كل او جزء من هذا الكتاب/المطبوعة/المجلة/ الإصدار، بآى شكل من الاشكال،
او بأية وسيلة من الوسائل.سواء التصوير او النقل الالكتروني او غيرها، دون إذن كتابى مسبق من الناشر.

ECSS
المركز المصري
للفكر والدراسات الاستراتيجية
EGYPTIAN CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

د. خـــالد عكاشـــة
المدير العام

اللواء. محمد إبراهيم الدويري
نائب المدير العام

د. عبد المنعم سعيد
المستشار الأكاديمي

تحرير
د. خالد حنفي علي

هيئة استشارية
د. محمد كمال
د. دلال محمود
د. جمال عبدالجواد
أ. مجدي صبحي
د. نهى بكر
د. رغدة البهي

بيانات وإحصائيات
هبة زين

إخراج فني
أحمد حسني

ecss.com.eg
/ecsstudies

www.ecss.com.eg

رقم الإيداع: 2024/11378
الترقيم الدولي: 978-977-87432-4-1

حقوق الطبع محفوظة للمركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية
العنوان: 100 شارع الميرغني مصر الجديدة، القاهرة، مصر.

تقديرات مصرية
إصـدار شهـري
السنة الخامسة - مايو 2024

العدد
59

التصعيد الإسرائيلي - الإيراني
الأبعـــاد والمخاطـــــر

تقديرات مصرية

إصـدار شـهـري

السنـــة الخامســـــة

مايـــــــو

2024

العـدد
59

المحتويـــــات

الافتتاحيـــــــــة: "تشريح" حرب غزة.. وتعقيدات الصراع الإقليمي	08
قضـــايا دوليـــة	11
محددات السياسة الأمريكية تجاه التصعيد الإسرائيلي-الإيراني	12
إدارة تباينات العلاقات الأمريكية-الإسرائيلية في مواجهة إيران	15
كيف تعاملت الصين وروسيا مع التصعيد الإسرائيلي-الإيراني؟	18
قضـــايا أمن ودفـــاع	21
دور المؤسسات الأمنية والعسكرية الإيرانية في التصعيد ضد إسرائيل	22
أثر تغير معادلة الاشتباك بين إيران وإسرائيل على وكلاء طهران	25
تداعيات التصعيد الإسرائيلي-الإيراني على أمن الأردن	28
مستقبل تنظيمات الإرهاب في ظل تفاقم صراعات المنطقة	32
قضايا السياسات العامة	35
اتجاهات السياسة المصرية تجاه التصعيد الإسرائيلي-الإيراني	36
ورشة عمل: مصر وتحديات ما بعد هجوم إسرائيل على إيران	39
قضـــايا نوعيـــة	42
التكلفة الاقتصادية لسيناريو الحرب بين إسرائيل وإيران	43
تأثيرات الرأي العام على الصراع الإسرائيلي-الإيراني	46
اختبار التكنولوجيا العسكرية في التصعيد بين إسرائيل وإيران	49
بيـــانات وإحصائيـــات : أبرز مؤشرات القوة الشاملة لإسرائيل وإيران	52

"تشريح" حرب غزة.. وتعقيدات الصراع الإقليمي

د. عبد المنعم سعيد
المستشار الأكاديمي
بالمركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

لم تعد حرب غزة الخامسة حالة كلاسيكية مثل الحروب الأربعة التي سبقتها، أو حتى أصبحت مثل الحروب طويلة المدى التي جرت بين إسرائيل وحزب الله في لبنان، وإنما باتت لها أبعادها الخاصة وألغازها الأكثر خصوصية. هي حالة سوف تكون لها شخصيتها التاريخية التي يجد فيها المؤرخون علامات فارقة، كما أنها سوف تحدد المسار الذي سوف تأخذه "القضية الفلسطينية" و"المسألة الإسرائيلية" و"الصراع العربي الإسرائيلي" و"الصراع الفلسطيني الإسرائيلي"؛ بل والصراع الإسرائيلي الإيراني. هذا العدد من تقديرات مصرية سوف يركز على آثار حرب غزة في المنطقة، خاصة في مجال التصعيد الإسرائيلي الإيراني الأخير، لعلها تعطي المراقبين ما يكفي من عمق النظر الذي يتيح تصورات صائبة وقرارات حكيمة.

أبعاد متعددة

مضى ثلاثة أرباع القرن على بداية "القضية الفلسطينية" التي طالت أكثر من كل القضايا العربية الأخرى للتخلص من الاستعمار والاحتلال الأجنبي. كانت كل القضايا بسيطة التكوين الفكري في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية الذي بات فيه التخلص من الإمبريالية الأوروبية أمرًا مطلوبًا ومستحبًا، مع دعم ذلك بأشكال من النضال السياسي والعسكري. "القضية"، التي باتت مركزية، أخذت شكلًا مختلفًا عن القضايا الأخرى، فقد كان محورها الاستيطان من قبل جماعة أخرى أتت بدعوة دينية كان فيها وعد إلهي بأرض تولت بريطانيا تحويلها إلى وعد بلفور لكي يكون هناك وطن قومي لليهود. الغالبية الكبرى من المستوطنين أتوا للتخلص من آثار اضطهاد جرى في بلاد أخرى بأوروبا الشرقية، ثم جاءت "المحرقة" الألمانية أثناء الحرب لكي تدفع المزيد منهم إلى "أرض الميعاد".

هذه الحالة من الاستعمار اختلفت عن تلك التي جاءت من دول عظمى في إطار المنافسة للسيطرة على العالم، وكان فيها من التجربة الأوروبية الشرقية ما يجد فيها الفلسطيني وجهًا يماثله في الرؤية حول شكل الوطن المراد. في مواجهة "اليهودي" الذي صار "صهيونيًا" بالقدوم إلى فلسطين، كان لا بد من وجود "الإسلامي" الذي بدأ بالشيخ أمين الحسيني وتبعه كل أشكال الإسلام السياسي. وفي مواجهة "الصهيونية" القومية، كانت "العروبة" التي تجعل فلسطين قضية مركزية لكل العرب. وعندما ظهر أن الدولة الإسرائيلية تقوم على نظام سياسي قائم على الأسس الديمقراطية والانتخابات الدورية في مؤسسات عدة رغم كثير من الخلافات؛ فإن "العلمانية" الفلسطينية باتت ضرورية هي الأخرى، وإن وجدت في النضالات "الماركسية" ما يكفي للاندفاع نحو العالم المعاصر. باختصار وجد الفلسطيني في المرآة الإسرائيلية ما يدفعه إلى ساحة النضال بدوافع وأساليب أيديولوجية متنوعة تكفي لاتهام الآخرين بالمروق والسببية فيما آلت إليه القضية من مصير وصل بنا إلى اللحظة الراهنة التي تجري فيها حرب غزة الخامسة، وهذه باتت تواجه زمنًا مركبًا جعل للقضية أبعادًا أخرى تناسب الزمن الراهن.

- **البعد الأول**: يجري هذا البعد الدولي بين الولايات المتحدة (القوة العظمى في العالم) والدولة الإيرانية الثورية الدينية الإسلامية الشيعية، والتي منذ ثورتها الكبرى في عام 1979 وهي في حالة من المناكفة والمواجهة مع القوة الأولى. الموضوع الأساسي بين القوتين هو تقييد قدرة إيران على امتلاك السلاح النووي الذي بدأ باتفاق واشنطن مع خمس دول أخرى (روسيا، والصين، وفرنسا، وألمانيا، وبريطانيا) عام 2015 مع إيران على أساس المقايضة بين توقف طهران عن الحصول على السلاح، مقابل رفع العقوبات المفروضة عليها. في مايو 2018، انسحبت إدارة الرئيس ترامب من الاتفاق معلنة المواجهة مع إيران التي بدأت هي الأخرى في تجهيز نوع من "الدفاع المتقدم" أخذ شكل إنشاء "مليشيات" هجومية مسلحة تسليحًا جيدًا، هي: قوات الحشد الشعبي في العراق، حزب الله في لبنان، قوات الحرس الثوري الإيراني في سوريا، الحوثيون في اليمن، حركتا حماس والجهاد الإسلامي في فلسطين. هذه القوات المختلفة قامت بأدوار عدة لمواجهة الوجود الأمريكي في

المنطقة، وفي الخليج، ولم تجد معضلة في توجيه ضربات إلى كل من دولة الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية.

- **البعد الثاني:** نجم عما سمي بالربيع العربي (2010 - 2013) الذي خرجت منه ثلاثة تيارات سياسية في الدول العربية: أولها، تيار الشباب لإسقاط النظم القائمة، لكن بعدها لم يوجد سوى الفوضى التي لا تقود لمشروع وطني من أي نوع. ثانيها، قوى "الإسلام السياسي" من الإخوان المسلمين حتى "داعش" بدرجات مختلفة من "الممانعة" للنظم القائمة في الداخل و"المقاومة" لإسرائيل وعلى طريق عودة الخلافة الإسلامية أو الإمام المنتظر. ثالثها، القوى السياسية التي وجدت ليس فقط النظم السياسية تتساقط، بل عالمًا جديدًا من الإصلاح داخل الدول النامية يكفي لأخذ البلاد إلى التقدم، عبر سلسلة من الإصلاحات والتحديث، تستند إلى هوية وطنية يتجدد فيها الخطاب الديني، ويتم فيها اختراق إقليم الدولة لتحقيق التواصل داخلها، واستغلال ثرواتها الكامنة استنادًا إلى الشباب المتواصلين مع العالم المعاصر. واعتبارًا من عام 2015، ذاع ذلك الاتجاه في دول الخليج العربية ومصر والأردن والمغرب، حيث بروز "رؤية" للتنمية والتقدم خلال العقود القادمة.

هذه القوى "الإصلاحية" باتت لديها حاجة ماسة للاستقرار في المنطقة بعد سنوات من الحروب والمواجهات الأهلية والخارجية، والصراع العربي الإسرائيلي، والصراعات مع الدول الإقليمية. هذه الدول أقامت سلامًا تعاقديًا مع إسرائيل (مصر والأردن) أدى إلى تحرير أراضيها المحتلة، والسلام "الإبراهيمي" القائم على التطبيع والتعاون في مجالات فيها مصالح مشتركة (الإمارات، والبحرين، والسودان، والمغرب)، والاتجاه نحو تطبيع العلاقات مع إسرائيل إذا ما قدمت تنازلات ملموسة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية (المملكة العربية السعودية). هذا التوجه خلق موقفًا يحقق انقلابًا استراتيجيًا في المنطقة، خاصة في مواجهة "الإسلام السياسي" بقيادة إيران.

- **البعد الثالث:** بلغ التناقض الإسرائيلي الفلسطيني أوجه مع هجوم حماس في السابع من أكتوبر من العام الماضي. بالنسبة لإسرائيل كان ذلك بداية للحرب الشاملة على الفلسطينيين في غزة، وكذلك في الضفة الغربية بوسائل متعددة. بالنسبة للفلسطينيين، كان هذا اليوم "نتيجة" لسنوات طويلة من الشقاء والمعاناة تحت الاحتلال الإسرائيلي، لكن هذا التعريف للموقف لم يشمل كامل القوى السياسية الفلسطينية، وإنما جاء من جانب حماس ومعها قوى راديكالية أخرى رغم ما كان قائمًا من تعاون بين حماس وإسرائيل خلال الأعوام السابقة تسبب في فصل قطاع غزة عن الضفة الغربية، حيث توجد السلطة الوطنية الفلسطينية. كان هذا اليوم هو نقطة البداية التي سرعان ما شملت الجبهتين اللبنانية، حيث حزب الله، والسورية حيث الحرس الثوري الإيراني. تدخلت قوات الحشد الشعبي العراقية بهجمات على القواعد الأمريكية في العراق والأردن، ومعها قامت جماعة الحوثيين في اليمن بشن الهجمات على حرية الملاحة وحركة التجارة العالمية في البحر الأحمر، حيث يمر في البحر 15% منها، و12% في قناة السويس المصرية.

- **البعد الرابع:** وهو يتعلق بمسار حرب غزة الخامسة نفسها التي باتت مثل كل الحروب في العالم قاسية ومرعبة، وبلغت الخسائر الإسرائيلية فيها من القتلى والجرحى ما يفوق العديد من الحروب العربية الإسرائيلية السابقة. وعلى الجانب العربي في غزة والضفة الغربية ولبنان كانت النتيجة مروعة كما هو معلوم: من القتلى خمسة وثلاثون ألفًا، والجرحى سبعة وسبعون ألفًا، والتدمير الشامل بقطاع غزة لما يزيد على 60% من ساحة البناء. على الجانبين الإسرائيلي والفلسطيني، جرت موجات من النزوح السكاني الذي كان منظمًا في إسرائيل للشمال والجنوب، بينما كان مع الفلسطينيين مدفوعًا شمالًا وجنوبًا حسب الخطط العسكرية الإسرائيلية التي حققت سلسلة من النكبات التي سوف تشكل وجدان أجيال قادمة.

- **البعد الخامس:** وكان تركيزه على التعامل مع كل الوجوه السابقة ومحاولة تجاوزها من خلال عملية تفاوضية تحقق هدنة قصيرة المدى، أو طويلة المدى تحقق سلامًا وخروجًا من مأزق حالة التصعيد التي ترفع الحرب من ثنائية بين إسرائيل وحماس إلى حالة إقليمية متفجرة، بينما تأخذ بيد المتحاربين إلى هدنة يمكن فيها التقاط الأنفاس، والبحث عن حلول مشتركة تصل بنا إلى نقطة الحل النهائي للقضية الذي بات يسمى "حل الدولتين". هذا الأمر يقتضي حل حزمة من العُقد التي تتطلب معالجة منفصلة.

عُقد الحرب

ينبغي الاعتراف بأن هناك حالة من الذهول والعجب تنتاب العالم والمنطقة منذ نشبت حرب غزة الخامسة. المفاجأة التي جرت في ذلك اليوم تشكل سببًا بالتأكيد، فضلًا عما شهدته الحرب من عنف وقسوة وحرب للإبادة قامت بها إسرائيل إزاء الفلسطينيين في قطاع غزة والضفة الغربية. لكن ظلت هنالك حفنة من العقد غير المفهومة وصعبة الحل، والتي حار في شأنها المراقبون والمحللون. توقيت بدء الحرب خلق تلك الازدواجية في تقدير العالم؛ رأى الإسرائيليون أن ما حدث في ذلك اليوم في غلاف غزة هو بداية التاريخ الذي يستعيد

ذكريات "المحرقة"، ومع انهيار الردع فإنه يدفع في اتجاه استعادته. على الجانب الآخر الفلسطيني، فإن ما جرى في ذلك اليوم كان محصلة عقود طويلة من الاحتلال والاستيطان والعيش في سجن أقاليم مفتوحة، ومعاملتهم بدرجات منخفضة في الترتيب الإنساني.

لكن ذلك لا يخلق عقدة فحسب، وإنما يُشير إلى حالة من التناقض الحاد والمصيري بين جماعتين حدث أن إحداهما (إسرائيل) تشكل دولة مسلحة بأكثر الأسلحة تقدمًا مع عون الدولة العظمى في العالم (الولايات المتحدة الأمريكية) والشبق الأوروبي من أجل التخلص من عقدة ذنب "المسألة اليهودية الإسرائيلية". أما الأخرى، فتمثل آخر شعوب العالم (فلسطين) التي لم يتحقق لها وجود الدولة، على مساحة يعيش فيها شعبها في الحاضر بين الضفة والقطاع، ولكن التاريخ يشهد على وجود يعود إلى آلاف السنين.

العقدة الأولى ربما تفسر الكثير من المساحات الغامضة في الصراع الآن يتعلق بالدور الإيراني في الأزمة كلها، والتي تعود بها إلى آفاقها الدولية حيث النزاع بين إيران من جهة والولايات المتحدة وبقية دول العالم الكبرى من جهة أخرى حول امتلاك إيران للسلاح النووي. قصة ذلك طويلة، لكنها تراوحت ما بين الاتفاق النووي على مقايضة السلاح بإنهاء العقوبات على طهران في وقت أوباما، ثم فض الاتفاق في زمن ترامب، ومحاولة استئنافه في عصر بايدن.

"أوركسترا" حرب غزة الجارية يشير إلى وجود "مايسترو" يدير المعارك على مسارح متنوعة في القلب منها مسرح عمليات غزة في مراحله المختلفة، لكنّ ذلك لا يمنع من أدوار أخرى منذ بداية تلك الحرب على صعيد المعارك اليومية بين حزب الله وإسرائيل، والغارات التي تقوم بها قوات الحشد الشعبي على القواعد الأمريكية في سوريا والعراق والأردن، وليس بعيدًا عن كل ذلك دخول جماعة الحوثيين اليمنية إلى الحرب من خلال قصف السفن التجارية في البحر الأحمر.

الدور الإيراني يعطي تفسيرًا ليس فقط لبداية الحرب، التي جاءت في توقيت دخول المنطقة إلى مرحلة جديدة من التطبيع العربي مع إسرائيل مع وضع "القضية الفلسطينية" على طريق التسوية بحل الدولتين. أكثر من ذلك، فإنه يفسر امتداد فترة الحرب مقارنة بحروب سابقة، ورغم ضراوتها فإن الجبهات المختلفة لا يبدو أن لديها نقصًا في السلاح ولا الذخائر ولا الصواريخ بعيارات وأنواع مختلفة.

العقدة الثانية تتمثل في العلاقات الأمريكية الإسرائيلية التي لا تبدو للكثيرين غير مفهومة، فبعد المشهد الأول المعبر عن العلاقات الطبيعية بين الطرفين، حينما قفز بايدن وأركان إدارته إلى إسرائيل فور هجوم السابع من أكتوبر ومصاحبة ذلك باثنتين من حاملات الطائرات عالية القدرة وفي مصاحبتها غواصة نووية وثلاثة آلاف من جنود البحرية، وفوق ذلك وعد مباشر بتقديم ما يزيد على ١٤ مليار دولار معونة مباشرة. بدا الأمر كحالة طبيعية تشهد على القدرة التاريخية للوبي اليهودي في الولايات المتحدة، والعشق المألوف للنخبة الأمريكية للدولة اليهودية.

لكن مع الوقت أصبحت العلاقة أكثر تعقيدًا مما بدت عليه، حيث عبرت الولايات المتحدة عن عدم رضاها عن الحملة العسكرية الإسرائيلية ومنافاتها للقوانين الدولية الإنسانية. تبع ذلك القفز مباشرة للحديث عن "اليوم التالي" بحيث يقوم على حل الدولتين وإقامة دولة فلسطينية مستقلة. أصبح هناك فارق في اللغة والخطاب والأهداف رغم أن الأسلحة التي تقتل الفلسطينيين قد استمرت في التدفق، ومعها رصدت واشنطن 26 مليارًا إضافية، وفي جانب آخر، قيدت شحنة من الذخيرة دقيقة الانفجار والإصابة للأهداف. وما بين تأييد الموقف الإسرائيلي في كل المحافل الدولية، والامتناع عن التصويت والتأكيد على حق الفلسطينيين في دولة يكاد يكون هناك إجماع إسرائيلي على رفضها؛ يوجد لغز في العلاقات، خاصة بعد انفجار الجامعات الأمريكية بالتأييد للفلسطينيين في وقت يقترب فيه موعد الانتخابات الرئاسية الأمريكية.

العقدة الثالثة تدور حول سؤال ماذا سوف يفعل الفلسطينيون في غزة؟ ومصدر السؤال والحيرة أن الحرب مع إسرائيل لا تلغي تاريخ ما جرى في السلطة السياسية الفلسطينية التي كانت فيها منظمة التحرير الفلسطينية، باعتبارها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني في المحافل الدولية. لكن خلال عقدين تقريبًا سيطرت وهيمنت حماس على القطاع ومنعت قيام ممثلي السلطة الوطنية الفلسطينية من ممارسة أعمالهم على غزة، حيث قامت حماس بممارسة دور السلطة في اتخاذ قرارات الحرب والسلام والعلاقات الخارجية مع إسرائيل وتركيا وإيران وقطر.

في الحقيقة ولفترة غير قصيرة، كانت حماس -ولا تزال- هي القوة الوحيدة المسلحة بالقطاع، والتي تقود حفنة من التنظيمات الأخرى التي يجمعها رفض الحلول السلمية والعلاقات مع إيران، وكراهية السلطة في رام الله بالطبع. العالم حاليًا يلح على السلطة الوطنية والدول العربية للبحث عن طريقة حكم لغزة إذا ما قُدر لوقف إطلاق النار أن يحدث، ويصبح "اليوم التالي" هو "اليوم الحالي"، وإلا فإن الحل الإسرائيلي القائم على استدامة الاحتلال سوف يظل قائمًا.

المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

قضـــايا دوليـــة

- محـددات السياسـة الأمريكيـة تجـاه التصعيـد الإسـرائيلي-الإيراني
- إدارة تباينـات العلاقـات الأمريكية-الإسـرائيلية في مواجهـة إيـران
- كيـف تعاملـت الصيـن وروسـيا مـع التصعيـد الإسـرائيلي-الإيراني؟

محددات السياسة الأمريكية تجاه التصعيد الإسرائيلي-الإيراني

مـع تبـادل إيـران وإسـرائيل إطلاق الصواريـخ علـى بعضهمـا بعضًـا، دخـل التصعيـد بينهمـا مرحلـة جديـدة لـم يعـد فيهـا واضحًـا هـل سـيكون قصيـر الأجـل أو هـل سـيغير وجـه الشـرق الأوسـط، أم ربمـا يتجـاوز ذلـك إلـى انعكاسـات علـى المسـارح الاسـتراتيجية الأخـرى، وهـو المشـهد الـذي قوبـل باهتمـام أمريكـي لكـن وفـق رسـالة مزدوجـة، يؤكـد جانـب منهـا علـى التـزام واشـنطن الصـارم بأمـن إسـرائيل، بينمـا يشـدد الآخـر علـى عـدم دعمهـا لمزيـد مـن التصعيـد، ممـا يثيـر تسـاؤلات بشـأن محـددات وأهـداف السياسـة الأمريكيـة تجـاه التصعيـد الإسـرائيلي الإيرانـي.

د. مها علام
باحثة بوحدة الدراسات الأمريكية
المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

محددات مؤثرة

مع تبلور مؤشرات الانتقام الإيراني للرد على إسرائيل، سارعت واشنطن إلى التأكيد المتكرر على دعم إسرائيل وحماية أمنها، لكن يظل الملمح البارز لأغلب التصريحات الأمريكية الرسمية هو الإشارة إلى عدم الرغبة في الدخول في صراع مع طهران أو اتجاه المشهد نحو المزيد من التصعيد، ومن ثم يتضح وجود مجموعة محددات تؤثر على التعاطي الأمريكي مع التصعيد الإيراني الإسرائيلي، **يمكن بلورتها على النحو التالي:**

- **محورية الدور الأمريكي:** على الرغم من تردد الدعوات الخاصة بتقليص الدور الأمريكي في المنطقة، إلا أن التأكيد على محورية هذا الدور يظل ضمن أبرز المحددات التي شكلت الاستجابة الأمريكية السريعة والمؤثرة في التعامل مع التصعيد بين إسرائيل وإيران. إذ إن الوجود العسكري الأمريكي والمزيج من دبلوماسية الأزمات والدبلوماسية الهادئة قد لعبا دورًا واضحًا في تعزيز ضبط النفس من قبل إسرائيل وإيران، والتي بقيت -حتى الآن- في حدود "حفظ ماء الوجه"، وكذا تنسيق المواقف مع الدول العربية الحليفة، ناهيك عن الأدوات العسكرية الأمريكية التي تم توظيفها في وجه وكلاء إيران، وفي مقدمتهم "الحوثيون" في اليمن.

- **ترابط المسارح الاستراتيجية:** برغم أن التصعيد الإيراني الإسرائيلي يجري داخل الشرق الأوسط، إلا أنه من المتوقع ألا تتوقف انعكاساته -بالضرورة- عند حدود المنطقة، وإنما تتجاوز ذلك إلى ساحات أخرى، في ضوء الروابط والتشابكات التي تجمعها بالمنطقة، بما يعني أن تأثيرات التصعيد لن تطال فقط المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط، وإنما مصالحها في مسارح استراتيجية أخرى، كالمسرح الآسيوي، والساحة الأوكرانية. ووفقًا لتحليل نشرته مجلة "فورين أفيرز"، فإن الصراع المفتوح في الشرق الأوسط قد يؤدي إلى "سلسلة عواقب مدمرة على العالم"، منها: تفاقم العنف، واندلاع موجات النزوح، فضلًا عن الاضطرابات الاقتصادية العميقة.

- **العمل والتنسيق مع الحلفاء:** لا يعكس الاعتراض الإسرائيلي الأمريكي المشترك لما يقرب 99% من الصواريخ والطائرات المسيرة الإيرانية قدرات الدفاع الجوي لدى تل أبيب فحسب؛ بل أظهر أيضًا صورة جديدة للتعاون العسكري تتجاوز العمل الأمريكي الإسرائيلي إلى التعاون العسكري الفعال، وكذا قابلية التشغيل البيني بين كل من إسرائيل والولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا والأردن، بما يعني وجود مرجعية للتعاون المشترك بين أعضاء حلف شمال الأطلسي وحلفائهم، وهو الأمر الذي يحمل رسالة قوية لكل خصوم واشنطن. واتصالًا بذلك، قال "بايدن" إن "حلفاءنا وشركاءنا أصدروا أو سيصدرون عقوبات وإجراءات إضافية تهدف إلى الحد من برامج إيران العسكرية المزعزعة للاستقرار".

أهداف أساسية

في ضوء ما يبدو من تراجع واشنطن عن سياسة "فك الارتباط" بالشرق الأوسط، والاتجاه صوب مزيد من الانخراط في المنطقة منذ عملية "طوفان الأقصى" التي وقعت في السابع من أكتوبر الماضي، يتضح عدة أهداف تمثل العناصر المحركة للسياسات والتحركات الأمريكية تجاه التصعيد الإيراني الإسرائيلي، **منها:**

- **أمن إسرائيل:** يُعتبر التوجه الأمريكي لحماية إسرائيل ودعم أمنها في المنطقة هدفًا محوريًا لواشنطن على اختلاف الإدارات المتعاقبة، بل تنظر إليه واشنطن باعتباره التزامًا راسخًا يقوم على ضرورة الحفاظ على تفوق إسرائيل العسكري النوعي وتعزيز قدرتها على الدفاع عن نفسها ضد أي تهديد. وفي ضوء ذلك، تؤكد واشنطن أن التزامها بأمن إسرائيل يشمل معالجة سلوك إيران المزعزع للاستقرار بالمنطقة وعدم السماح لها بامتلاك سلاح نووي. وهي الرسائل التي أعادت واشنطن التأكيد عليها على خلفية الهجمات الإيرانية ضد إسرائيل، وهو ما يتصل بموافقة مجلس الشيوخ الأمريكي، في 24 أبريل 2024، على حزمة مساعدات أمنية لدعم دفاع إسرائيل ضد إيران ووكلائها بقيمة 26.4 مليار دولار، وبالتحديد أنظمة الدفاع الصاروخية، والقبة الحديدية، ومقلاع داوود.

- **الاستقرار الإقليمي:** تظل مسألة استقرار المنطقة أحد أهم أهداف واشنطن، انطلاقًا من حرصها على عدم اضطراب مصادر الطاقة بالمنطقة، وكذا عدم اتساع دور القوى الممانعة فيها، وهو ما يرتبط أيضًا بتزايد محتمل في دور خصوم واشنطن في المنطقة. بعبارة أخرى، فإن اشتعال الصراع في الشرق الأوسط يمثل تهديدًا للولايات المتحدة واستنزافًا لجهودها ومواردها السياسية والعسكرية، بما قد يصبّ في صالح خصومها. وهو التوجه الذي يمكن استقراؤه في تصريحات وزير الخارجية أنتوني بلينكن ووزير الدفاع لويد أوستن التي تؤكد على أن واشنطن لا تسعى للدخول في صراع مع طهران، ناهيك عن عدم دعم الولايات المتحدة لمزيد من التصعيد بالمنطقة.

وكشفت بعض التحليلات عن وجود ضغط أمريكي على إسرائيل، من أجل تحجيم نطاق الانتقام الإسرائيلي. ففي أعقاب الهجمات الإيرانية على إسرائيل، أفاد موقع أكسيوس، بأن الرئيس بايدن، أبلغ رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو بأن واشنطن لن تدعم أي هجوم إسرائيلي مضاد ضد إيران، مضيفًا أن البيت الأبيض يرى أن الرد الإسرائيلي على الهجوم الإيراني سيؤدي إلى حرب إقليمية "ذات عواقب كارثية".

- **تحقيق مكاسب انتخابية:** على الرغم من سعي إدارة بايدن منذ يومها الأول في الحكم إلى الانقضاض على إرث سلفه ترامب فيما يتعلق بالتعامل مع إيران، من خلال تبني سياسة أكثر مهادنة ارتكزت -بشكل أساسي- على إعادة تحفيز المسار الدبلوماسي، والتوصل لاتفاق مع طهران؛ إلا أن ذلك قد وضعها في مأزق وعزز من الانتقادات التي تتعرض لها، فقد قال المرشح الجمهوري ترامب في حديثه بتجمع حاشد بولاية بنسلفانيا، إن هجوم حماس في 7 أكتوبر والهجمات الجوية الإيرانية على إسرائيل "لم تكن لتحدث لو كنت في المنصب"، وهي المسألة التي تعني وجود محاولات من إدارة بايدن لاحتواء الغضب الداخلي الناجم عن استمرار العدوان الإسرائيلي على غزة بدون أي ضغوط أمريكية حقيقية بشأن المسار السياسي أو حل الدولتين من جانب، واتجاه أوضاع بالمنطقة صوب الانفجار من جانب آخر، من أجل تعزيز فرص فوزه في نوفمبر المقبل.

مجمـل القـول، إن التعامل الأمريكي مع التصعيد الإيراني الإسرائيلي قد ساهم -إلى حد كبير- في احتوائه حتى الآن بطريقة عززت من الرسائل التي تدور حول محورية الدور الأمريكي التي تؤثر فيه مجموعة من المحددات وتحركه مجموعة من الأهداف. ومن ثم يبدو أن واشنطن في طريقها لتجاوز الأصوات الداخلية التي تجادل بأن الوجود الأمريكي العسكري والدبلوماسي في الشرق الأوسط يشكل عائقًا أكثر من كونه مساعدًا على الاستقرار الإقليمي، وذلك بالاستناد إلى عدم وجود طرف آخر، سواء الصين أو روسيا أو أي دولة أوروبية، لديه هذا القدر من عمق واتساع العلاقات في مختلف أنحاء المنطقة لتوفير الحماية ضد التهديدات الإقليمية المتزايدة الصادرة عن إيران وشبكة وكلائها. لكن تظل مسألة تراجع الثقة في الدور الأمريكي الناجمة عن الدعم اللا محدود الذي قدمته واشنطن للعدوان الإسرائيلي على غزة قائمة، وتتطلب جهودًا أمريكية حقيقية لوقف ذلك العدوان ودعم بناء دولة فلسطينية.

إدارة تباينات العلاقات الأمريكية-الإسرائيلية في مواجهة إيران

كشفت الضربات المتبادلة بين إسرائيل وإيران خلال شهر أبريل 2024، ليس فقط تغير قواعد الاشتباك بين البلدين، عندما ردت طهران على ضرب قنصليتها في سوريا بهجوم مباشر وغير مسبوق على إسرائيل، لكن أيضًا عن تباينات العلاقات بين تل أبيب وواشنطن، والتي تراوحت ما بين تقديم الدعم الأمريكي بكافة الوسائل لإسرائيل لمواجهة الهجوم الإيراني، ومحاولة وأد الصراع في مهده وعدم توسيعه، حتى لا تتحول المنطقة إلى بؤرة صراع أكبر تُهدد العالم وسط حرب إسرائيل على غزة.

مروة محمد عبد الحليم
باحثة بالمرصد المصري
المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

دعم متعدد

تعرّضت العلاقات الأمريكية الإسرائيلية إلى توترات خلال حرب غزة، ما بين الدعم التاريخي الذي تقدمه واشنطن لإسرائيل دون تحفظ، وانتقاد سلوك رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، وتصعيد الخطاب الموجه له لوقف إطلاق النار في قطاع غزة وقبول مسار حل الدولتين. إلا أنّ الهجوم الإيراني المباشر على إسرائيل أنقذ مسار العلاقات، حيث سارعت إدارة بايدن لمساندة تل أبيب عبر عدة محاور:

الأول: عدم اهتمام واشنطن بقصف إسرائيل للقنصلية الإيرانية، كما تَوَجَّه كبار مسئولي البنتاجون إلى القدس لإظهار الدعم، وحرص الرئيس جو بايدن على التأكيد على أن التزامه تجاه دعم إسرائيل لا يزال "صارمًا".

الثاني: اعتراض واشنطن وحلفائها في المنطقة جميع عمليات الإطلاق الإيرانية ضد إسرائيل، والتي يزيد عددها على 300 تقريبًا.

الثالث: إعطاء الضوء الأخضر لتل أبيب لتوجيه ضربات جوية ضد أهداف عسكرية في مدينة أصفهان عبر ترتيب هذا التحرك سابقًا مع إيران عبر الوسيط العماني، تحت دعوى حاجة إسرائيل للرد لـ"حفظ ماء الوجه".

أما المحور الرابع: فتمثل في إقرار الكونجرس حملة مساعدات لإسرائيل بقيمة 17 مليار دولار.

أظهرت أيضًا الإدانة السريعة من الحزبين الجمهوري والديمقراطي لإيران بشكل حاد مدى متانة الدعم الأمريكي لإسرائيل، حتى وسط الانقسام الحزبي المتزايد حول كيفية تعامل البلاد مع حرب غزة، وهو ما يؤكد عدم وجود تغير في سياسة واشنطن تجاه إسرائيل الأساسية القائمة على الدعم بلا حدود.

رفض المواجهة

رغم الاعتراف الأمريكي بتهديدات إيران المتزايدة في المنطقة، إلا أن الإدارات المتعاقبة في البيت الأبيض قاومت رغبات إسرائيل في نشوب أي مواجهة مسلحة مع إيران لإدراكهم أن البرنامج النووي للأخيرة لا يمكن تدميره عسكريًا بشكل نهائي، وأن المصالح الأمريكية لا يمكن تحقيقها عبر خوض حرب أخرى في الشرق الأوسط قد تزعزع الاستقرار وتضعف الولايات المتحدة كما في العراق وأفغانستان.

مع ذلك، لم تتردد الإدارات الأمريكية في الدفاع عن إسرائيل وعن قواتها المتمركزة في المنطقة، وهو الالتزام الذي يُعد سياسة تصفها واشنطن بأنها "مقدسة"، لأسباب أمنية ودينية وأيديولوجية. فمنذ الحرب الباردة، كانت إسرائيل شريكًا رئيسيًا في حماية المصالح الأمريكية في المنطقة، كما تنظر واشنطن إلى إسرائيل على أنها الديمقراطية الوحيدة في المنطقة وحليف سياسي وأيديولوجي مهم. وتضافرت هذه الأسباب لخلق لوبي قوي مؤيد لإسرائيل في الولايات المتحدة، سواء بالمعنى الرسمي للضغط على أعضاء الكونجرس أو بالمعنى الأوسع لخلق دائرة انتخابية قوية بين الناخبين الأمريكيين؛ مما يجعل دعم إسرائيل في مجابهة التهديدات الإيرانية قضية رئيسية لكلا الحزبين.

إلا أنه عندما سعى رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق إيهود أولمرت لكسب الدعم الأمريكي لشن هجوم ضد منشآت إيران النووية في مايو 2008، رفض جورج بوش حينها دعم هذا القرار، وأوضح أن موقفه لن يتغير خلال الفترة المتبقية من فترة رئاسته، كما رفض أيضًا منح إسرائيل القنابل الخارقة للتحصينات التي كانت تحتاجها لاستهداف المواقع النووية الإيرانية.

بالمثل، ذهب أوباما إلى حد الإعلان صراحة عن موقف الولايات المتحدة الذي يرفض إعطاء إسرائيل الضوء الأخضر لمهاجمة إيران. لكن نتنياهو كثّف ضغوطه على أوباما لإطلاق تحرك عسكري، فرد عليه أوباما عبر تكثيف جهوده الدبلوماسية مع إيران، والتوصل إلى الاتفاق النووي الإيراني. إلا أن فترة رئاسة ترامب شهدت استسلامًا لضغوط نتنياهو حين تخلت واشنطن عن الاتفاق النووي الإيراني، لكن ترامب امتنع رغم كل شيء عن خوض الحرب مع إيران، وأدرك أن نتنياهو كان مستعدًا لمحاربة إيران حتى سقوط آخر جندي أمريكي.

على النهج ذاته سار بايدن، ففي أعقاب الضربات المتبادلة بين طهران وتل أبيب، صرحت إدارة بايدن بأنها لا تسعى إلى التصعيد، وأن تصرفاتها دفاعية، ولا بد من العودة إلى "القضية المطروحة"، وهي إنهاء الصراع في غزة، والتوصل إلى وقف لإطلاق النار، والإفراج عن الرهائن، وتوفير المساعدة الإنسانية للفلسطينيين في غزة. بمعنى آخر، التركيز على حل الصراع الإسرائيلي الفلسطيني الذي أشعل المواجهة الإيرانية الإسرائيلية. فحل القضية الفلسطينية من شأنه أن يساعد على تهميش تهديدات إيران ووكلائها للمنطقة.

وعلى الرغم من أن ضغط إدارة بايدن على إسرائيل للحد من ضربتها "الانتقامية" على إيران قد حال دون نشوب حرب إقليمية أوسع؛ إلا أن بقاء نتنياهو السياسي قد يفتح باب التصعيد مجددًا، خاصة أن دولة كإسرائيل قد يتولّد لديها حافز لتكون أكثر عدوانية مع جيرانها عندما تكون تحت مظلة حماية القوى الكبرى. كما أن الدعم الأمريكي اللا محدود قد يكون فرصة للإدارة الإسرائيلية لاتخاذ أي عمل عسكري تراه مناسبًا، واثقة من أن واشنطن ستدعمها عندما تتدهور الأوضاع، وهو ما يمنح إسرائيل ترخيصًا بخوض مخاطر بدء حرب إقليمية تحاول الولايات المتحدة منعها.

ويشجع التسامح الأمريكي مع إسرائيل على سلوك الأخيرة المزعزع للاستقرار، كما أن عدم رسم خطوط حمراء أمام صناع القرار الإسرائيليين يُنظر إليه على أنه ضوء أخضر، إضافة إلى أن تقديم المساعدات الأمريكية دون شروط لتل أبيب جعل صناع القرار فيها يتوقعون عدم التعرض لأي إجراءات عقابية مهما فعلوا. وبالتالي تسعى الولايات المتحدة إلى ألا يُلقي الهجوم الإيراني على إسرائيل بظلاله الكثيفة في الشرق الأوسط بغض النظر عن الرد الإسرائيلي.

وتخشى واشنطن من عواقب التصعيد الإيراني الإسرائيلي على المسارح الاستراتيجية الدولية الأخرى لا سيما أنه في المقابل يحرص المسئولون الإسرائيليون منذ السابع من أكتوبر على تصوير إسرائيل وأوكرانيا باعتبارهما مسرحين للصراع العالمي نفسه للديمقراطية ضد الاستبداد. وفي حين يفتقر هذا التحليل إلى الفروق الدقيقة المناسبة؛ فإن البيئة الدولية المنحازة لإسرائيل تدعي وجود روابط نظامية بينهما.

ختامًـــا، ستظل الولايات المتحدة القوة الوحيدة التي يمكنها التأثير على قرارات إسرائيل، أو تشكيل تهديد حقيقي للنظام الإيراني. وبرغم ما تعرضت له علاقات واشنطن وتل أبيب لبعض التوتر على خلفية إدارة الحرب في قطاع غزة، فقد أعاد الهجوم الإيراني على إسرائيل الدعم الأمريكي والدولي الذي فقدته تل أبيب، وعزز موقف نتنياهو وفرصته في استهداف إيران لوقف برنامجها النووي، وكانت إسرائيل تهدف إلى توجيه ضربة حاسمة لإيران، لكنها قُوبلت بمعارضة أمريكية قوية، حذرًا من زعزعة استقرار المنطقة.

كيف تعاملت الصين وروسيا مع التصعيد الإسرائيلي-الإيراني؟

ساهمت تبعات حرب غزة في تحول المواجهة بين إسرائيل وإيران من الوكلاء، أو ما يُعرف إسرائيليًا بـ"المعركة بين الحروب"، إلى الاشتباك المباشر، بما يُنذر باحتمالية توسع نطاق الهجمات المُتبادلة بشكل غير محسوب في المنطقة. وبرغم توافق القوى الكبرى على احتواء التصعيد وعدم تحوله إلى حرب شاملة، شهدت سياساتهم وتحركاتهم اختلافًا في التفاعل مع تطورات المواجهة بين الجانبين، استنادًا إلى محددات تحكم توجهاتهم نحو المنطقة. ففي حين التزمت الولايات المتحدة بالدعم الكامل لحليفتها إسرائيل، عبّرت سياسات الصين وروسيا عن نهج مغاير.

آية عبد العزيز - نوران عوضين
باحثتنان بالمركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

الموقف الصيني

لـم ينفصـل الموقـف الصينـي مـن التصعيـد الإسـرائيلي الإيرانـي عـن موقفهـا العـام منـذ بدايـة الحـرب الإسـرائيلية علـى قطـاع غـزة. فقـد نـددت بكيـن بالضربـة الإسـرائيلية للقنصليـة الإيرانيـة فـي سـوريا، فـي الأول مـن أبريـل 2024، فيمـا جـاء موقفهـا إزاء التصعيـد الإيرانـي الإسـرائيلي المتبـادل لاحقًـا متمثـلًا فـي دعـوة جميـع الأطـراف إلـى ضبـط النفـس لمنـع المزيـد مـن التصعيـد الناتـج عـن الصـراع المسـتمر فـي غـزة، مُؤكـدةً اسـتمرارها فـي دور بنّـاء لتهدئـة الوضـع. يعبـر هـذا الموقـف ومـا ارتبـط بـه مـن تحـركات واتصـالات عـن محـددات حاكمـة لسياسـة الصيـن إزاء الشـرق الأوسـط، **مـن أبرزهـا مـا يلـي:**

- **التأكيـد علـى دور الصيـن كقـوة مسـئولة بالمنطقـة:** أكـدت التحـركات الصينيـة اللاحقـة لاسـتهداف إيـران داخـل إسـرائيل علـى رغبـة بكيـن فـي الحفـاظ علـى صورتهـا كقـوة مسـئولة شـريكة لـدول المنطقـة. فمـن ناحيـة، حرصـت علـى التواصـل المباشـر مـع طرفـي التصعيـد، إسـرائيل وإيـران، مُؤكـدةً أهميـة التوصـل إلـى وقـف فـوري لإطـلاق النـار فـي قطـاع غـزة؛ نظـرًا لمـا تسـبب فيـه الصـراع مـن توتـرات إقليميـة، تمثّـل أحـدث حلقاتـه غيـر المباشـرة فـي المواجهـة بيـن إسـرائيل وإيـران.

مـن ناحيـة أخـرى، تعبـر محادثـات وزيـر الخارجيـة الصينـي وانـغ يـي مـع نظيريـه السـعودي والإيرانـي فـي 15 أبريـل 2024 عـن إصـرار بكيـن علـى إنجـاح مبادرتهـا الأهـم بالمنطقـة، التـي توسـطت فيهـا العـام الماضـي، المتمثلـة فـي اتفـاق التطبيـع السـعودي-الإيرانـي، وذلـك فـي ضـوء مـا يحملـه التصعيـد مـن احتمـال اتسـاع نطـاق المواجهـات بالمنطقـة. إذ عبـر وزيـر الخارجيـة الصينـي خـلال محادثتـه مـع نظيـره الإيرانـي حسـين أميـر عبـد اللهيـان عـن تقديـر بلاده بشـأن تأكيـد إيـران علـى عـدم اسـتهداف الـدول الإقليميـة والمجـاورة ومواصلـة اتّباعهـا سياسـة حسـن الجـوار . وخـلال حديثـه مـع وزيـر الخارجيـة السـعودي فيصـل بـن فرحـان آل سـعود، أشـار وانـغ يـي إلـى تقديـر بكيـن تركيـز الريـاض علـى حـل القضايـا عبـر الوسـائل الدبلوماسـية، واسـتعداد بلاده للعمـل معهـا لتجنـب المزيـد مـن تصعيـد المواجهـة.

- **جنـي عوائـد الانخـراط الأمريكـي بالصـراع:** تفضـل بكيـن أن تسـتمر واشـنطن فـي تحمـل مهمـة الضامـن الأمنـي للمنطقـة؛ الأمـر الـذي ينعكـس بالإيجـاب علـى مصالـح الصيـن بالمنطقـة، ولا سـيما التجاريـة والاسـتثمارية والأمنيـة، دون تحمـل أي تكاليـف إضافيـة. فيمـا يُعـزز الدعـم الأمريكـي لإسـرائيل فـي حربهـا علـى غـزة وفـي مواجهتهـا مـع إيـران مـن الروابـط التـي تجمـع بيـن الصيـن مـع دول الجنـوب العالمـي الـذي يـرى فـي اسـتمرار الدعـم الأمريكـي سببًـا فـي إطالـة أمـد الحـرب فـي غـزة.

بنـاءً عليـه، ترفـض الصيـن الدعـوات الأمريكيـة المتكـررة منـذ بـدء حـرب غـزة والمطالبـة بفـرض بكيـن ضغوطًـا علـى إيـران لوقـف التصعيـد، مؤكـدة علـى عـدم وجـود أيـة نيـة مـن جانبهـا نحـو تسـليح علاقاتهـا التجاريـة كمـا تفعـل واشـنطن، وإنمـا يكمـن الحـل فـي قيـام الولايـات المتحـدة بممارسـة نفوذهـا علـى إسـرائيل لوقـف هـذه الحـرب. فـضلًا عمـا يوفـره الانشـغال الأمريكـي المتزايـد بالمنطقـة مـن فرصـة لبكيـن لتعزيـز وتأميـن تموضعهـا داخـل مجالهـا الحيـوي بمنطقـة المحيطيـن الهنـدي والهـادئ.

- **اسـتمرار الشـراكة مـع إيـران:** ثمـة سـبب آخـر لرفـض الصيـن ممارسـة أي ضغـوط علـى طهـران وهـو رغبتهـا فـي اسـتمرار شـراكتها المعـززة مـع الأخيـرة، حيـث تعـد بكيـن أكبـر شـريك تجـاري لطهـران، وتشـتري منهـا مـا يقـدر بنحـو 90% مـن صادراتهـا النفطيـة، كمـا تقـدم الشـركات الصينيـة معـدات الأمـن والمراقبـة إلـى إيـران. مـن جانـب آخـر، تـدرك بكيـن أنـه ليـس بإمكانهـا خـلال اللحظـة الراهنـة ممارسـة أي ضغـوط علـى طهـران، خاصـة فـي ظـل مـا يبـدو مـن عـدم رغبـة صينيـة فـي توسـيع علاقاتهـا الاقتصاديـة مـع طهـران، علـاوة علـى عـدم تحقيـق اتفـاق التعـاون الاسـتراتيجي الشـامل فوائـد اسـتثمارية ملموسـة لإيـران.

يدلـل علـى ذلـك مـا جـاء خـلال المحادثـة الهاتفيـة بيـن وزيـري الخارجيـة الصينـي والإيرانـي، حيـث أبـدى وانـغ يـي تفهـم بلاده للتصعيـد الإيرانـي، الـذي جـاء فـي إطـار ممارسـة الحـق فـي الدفـاع عـن النفـس، مؤكـدًا اسـتعداد الصيـن لدفـع "التعـاون العملـي بشـكل مضطـرد فـي مختلـف المجـالات مـع إيـران، وتعزيـز تنميـة أكبـر للعلاقـات الصينيـة الإيرانيـة".

الموقف الروسي

جاء الموقف الروسي من التصعيد الإسرائيلي-الإيراني كجزءٍ من نهجها تجاه أزمات المنطقة، الرامي إلى خفض التصعيد، حيث دعت جميع الأطراف المعنية إلى ضبط النفس، وأكدت أن عدم حل الصراع

الإسرائيلي-الفلسطيني سيؤدي إلى زيادة التوتر في المنطقة، كما دعمت طهران كحليف استراتيجي من خلال تنديد موسكو بالهجوم الإسرائيلي على القنصلية الإيرانية في دمشق، مقابل عدم التنديد بالهجمات الإيرانية على إسرائيل، مُؤكدةً على رواية طهران المستندة إلى أن الهجوم جاء في إطار حق الدفاع عن النفس.

كما سبق وأن صاغت روسيا بيانًا في مجلس الأمن يُدين هجوم إسرائيل على القنصلية، والذي عرقل تبنيه كل من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا. وعليه يأتي الموقف الروسي من المواجهة المُتبادلة بين طهران وتل أبيب في إطار عدة محددات، **من أبرزها ما يلي:**

- **الانحياز للحليف الإقليمي:** جاء الدعم الروسي لإيران في إطار تنامي العلاقات بينهما، خاصة منذ اندلاع الحرب في أكرانيا والتي ساهمت في تعزيز تعاونهم العسكري؛ حيث تعتمد موسكو على طهران في الحصول على طائرات بدون طيار لاستهداف البنية التحتية الحيوية في أوكرانيا، كما أنها على استعداد لتوسيع هذا التعاون وفقًا لما صرح به وزير الدفاع الروسي خلال اجتماعه مع نظيره الإيراني في كازاخستان في السادس والعشرين من أبريل 2024، علاوةً على أنه جزء من توجهها نحو المنطقة في ضوء التنافس مع واشنطن، بجانب استمرار شراكتهما بشأن تنسيق العمل المشترك في سوريا. في المقابل، ترغب طهران في تعزيز قدراتها العسكرية من خلال الحصول على أنظمة دفاع جوي متطورة، وطائرات مقاتلة من خلال تعاونها مع موسكو.

- **تراجع العلاقات مع إسرائيل:** قد يرجع عدم إدانة روسيا للهجمات الإيرانية على إسرائيل إلى استمرار التوتر مع تل أبيب على خلفية الموقف الإسرائيلي المُتوافق مع الغرب بشأن دعم كييف، بجانب دعوة موسكو لوقف الحرب في غزة، وتقديمها قرارًا لمجلس الأمن يدعو لوقف إطلاق النار "من دون ذكر حماس"، مُنتقدة قتل المدنيين في القطاع. كما شبّه الرئيس الروسي الحصار المفروض على القطاع بالحصار النازي على مدينة "لينينجراد" خلال الحرب العالمية الثانية، واعتبره أمرًا "غير مقبول"، برغم أن موسكو دعمت حق تل أبيب في الدفاع عن النفس. يدلل على ذلك ما صرحت به المتحدثة باسم وزارة الخارجية الروسية، في ردها على قول السفيرة الإسرائيلية لدى روسيا بأن إسرائيل كانت تتوقع أن تستنكر روسيا الهجمات الإيرانية، حيث قالت المتحدثة: "ذكريني، متى كانت آخر مرة نددت فيها إسرائيل بهجوم واحد على الأقل من هجمات كييف على المناطق الروسية؟".

- **توظيف الصراعات الإقليمية**: برغم أن روسيا ليست قوة مؤثرة في مجريات الصراع الراهن مُقارنة بالولايات المتحدة، إلا أنها ترغب في الاستفادة من تبعاته، عبر استمرار تواصلها مع كافة الأطراف الفاعلة، سواء على مستوى الدول أو الفاعلين من غير الدول، لاستعادة مكانتها الدولية التي تراجعت على خلفية العقوبات الغربية المفروضة نتيجة حرب أوكرانيا، كما أن الوضع المُعقد في الإقليم يُتيح فرصة لروسيا لتوثيق علاقاتها مع دول المنطقة؛ وهو ما دفعها إلى انتقاد سياسة واشنطن تجاه المنطقة، والتأكيد على أهمية حل الصراع الإسرائيلي-الفلسطيني تمهيدًا لعودة الاستقرار الإقليمي، وهو أمر مستبعد الآن، ويصب في مصلحة موسكو بشكل نسبي لأنه يصرف الاهتمام الدولي عن دعم أوكرانيا، خاصة مع اقتراب الانتخابات الأمريكية المُقرر عقدها في نوفمبر المُقبل، والتي قد تساهم نتائجها في إعادة تشكيل العلاقات في المنطقة ومع روسيا في حالة إعادة انتخاب الرئيس الأمريكي السابق "دونالد ترامب".

ختامًـــا، يُعد التوافق النسبي في التحركات الصينية والروسية إزاء التصعيد الإسرائيلي الإيراني جزءًا من توجه أوسع يجمع بين القوتين، مرتكزًا على رفض القطبية الأحادية الأمريكية، داعيًا إلى التحول نحو نظام متعدد الأقطاب، وهو ما يتسق مع التوجهات والتحركات الإيرانية داخل المنطقة، الأمر الذي نتج عنه تشكل -ما تسميه الكتابات الغربية- محور "الصين، روسيا، إيران"، الذي تجلت أبرز مظاهره في الموافقة على انضمام طهران إلى "منظمة شنغهاي للتعاون" وتجمع "البريكس"، وكذا في ارتفاع وتيرة تعاونهم -سواء الثنائي أو الثلاثي- الدفاعي والعسكري. مع ذلك، من غير المُتوقع أن يتطور هذا المحور إلى شكل من أشكال التحالف، وإنما سيظل معبرًا عن تقارب براجماتي، يتمثل جوهره الرئيسي في معارضة واشنطن.

قضـــايا أمن ودفـــــاع

- دور المؤسسات الأمنية والعسكرية الإيرانية في التصعيد ضد إسرائيل.
- أثر تغير معادلة الاشتباك بين إيران وإسرائيل على وكلاء طهران.
- تداعيات التصعيد الإسرائيلي-الإيراني على أمن الأردن.
- مستقبل تنظيمات الإرهاب في ظل تفاقم صراعات المنطقة.

دور المؤسسات الأمنية والعسكرية الإيرانية في التصعيد ضد إسرائيل

على الرغم من أن التصعيد يمثل سمة حاكمة للتفاعلات التي تجري بين إيران وإسرائيل على مدى السنوات الخمس والأربعين الماضية، منذ تأسيس نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية في عام 1979؛ إلا أنه لم يعد كما كان في الأول من أبريل 2024. ففي ذلك اليوم، بدا واضحًا أن هناك مرحلة جديدة من هذا التصعيد سوف تفرض نفسها على تلك التفاعلات، ربما تكون مختلفة -إلى حد كبير- عمّا سبقها من مراحل. فقد تجاوز الطرفان، في الفترة من 1 إلى 19 أبريل 2024، الحدود السابقة للتصعيد التي فرضت عليهما استخدام آليات وخيارات محددة تضبط مستواه، بحيث لا يتجاوز المدى الذي تسمح به حساباتهما، والتي كانت تتقاسم هدفًا رئيسيًا هو الحيلولة دون تحوله إلى مواجهة عسكرية مباشرة.

د. محمد عباس ناجي
خبير بمركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية

لكـن الهجـوم الإسـرائيلي علـى القنصليـة الإيرانيـة فـي دمشـق، فـي أول أبريـل 2024، غيّـر هـذه الحسـابات، وفـرض علـى إيـران خيـارًا واحـدًا هـو ضـرورة الـرد عسـكريًا وبشـكل مباشـر أيضًـا. وقـد ردّت إيـران بالفعـل فـي 19 مـن الشـهر نفسـه، بهجمـات اسـتخدمت فيهـا صواريـخ باليسـتية وصواريـخ كـروز وطائـرات مـن دون طيـار انطلقـت مـن أراضيهـا فـي اتجـاه إسـرائيل، التـي ردت بدورهـا علـى "الـرد المضـاد" بعـد ذلـك بسـتة أيـام بهجـوم علـى قاعـدة عسـكرية تابعـة للجيـش الإيرانـي "هشـتم شـكاري" فـي محافظـة أصفهـان، التـي تضـم منشـآت عسـكرية ونوويـة حساسـة، فـي مقدمتهـا مفاعـل "ناتانـز" لتخصيـب اليورانيـوم.

من يدير التصعيد؟

مـع دخـول التصعيـد بيـن إيـران وإسـرائيل مرحلـة المواجهـة المباشـرة والمفتوحـة، والتـي ربمـا لا يسـتبعد أن تتجـدد فـي المسـتقبل في ظـل الخلافـات المتعـددة والمتزايـدة بيـن الطرفيـن خاصـة بعـد عمليـة "طوفـان الأقصـى" فـي 7 أكتوبـر 2023، فـإن ثمـة تسـاؤلات تطـرح نفسـها في هـذا الصـدد، يأتي في مقدمتهـا السـؤال عـن مَـن يديـر عمليـة التصعيـد العسـكري مـع إسـرائيل.

ربمـا الإجابـة التقليديـة تكمـن فـي أنّ المرشـد الأعلـى للجمهوريـة الإيرانيـة علـي خامنئـي هـو صاحـب القـرار فـي تحديـد اتجاهـات التصعيـد مـع إسـرائيل. لكـنّ هـذه الإجابـة، رغـم أنهـا تحظـى بوجاهـة خاصـة، تختـزل عمليـة صنـع القـرار، ولا سـيما فـي قضيـة تكتسـب حساسـية وأهميـة خاصـة مثـل التصعيـد العسـكري مـع إسـرائيل، فـي شـخص واحـد، بصـرف النظـر عـن أهميـة وتأثيـر الـدور الـذي يمارسـه هـذا الشـخص، الذي يُعـد المسـئول الأول في النظـام السـياسي الذي يتولـى بمقتضـى الدسـتور صلاحيـات سياسـية ودينيـة في آن واحـد.

هنـا، قـد يكـون صحيحًـا أن المرشـد الأعلـى للجمهوريـة هـو متخِـذ القـرار، لكنـه فـي الوقـت نفسـه ليـس صانعـه. فهـذه المهمـة (صنـع القـرار) تـوكل إلـى مؤسسـات أخـرى في النظـام تتولـى أيضًـا بمقتضـى الدسـتور صلاحيـات محـددة فـي هـذا الصـدد. وبالنظـر إلـى طبيعـة القضيـة التـي يجـري الحديـث عنهـا، وهـي التصعيـد العسـكري مـع إسـرائيل، فإنـه للوهلـة الأولـى تبـدو المؤسسـات المرشـحة لتولـي هـذه العمليـة هـي: المجلـس الأعلـى للأمـن القومـي (وهـو المؤسسـة الأمنيـة الأكثـر نفـوذًا داخـل النظـام)، فـضلًا عـن وزارة الاسـتخبارات، والقـوات المسـلحة بشـقيها: الجيـش، والحـرس الثـوري.

ويمكـن فـي البدايـة تقسـيم هـذه المؤسسـات إلـى شـقين: الأول، مؤسسـات تضـع السياسـات الدفاعيـة والأمنيـة، وتتمثـل فـي المجلـس الأعلـى للأمـن القومـي. والثانـي، مؤسسـات تقـوم بتنفيذهـا، وتنصـرف إلى الجيش والحرس الثوري. لكن ذلك لا ينفي أن هـذا التقسـيم يتسـم بالمرونـة، حيث إن مؤسسـات القسـم الثاني تشـارك، علـى سـبيل المثـال، في عمليـة وضـع السياسـات الدفاعيـة والأمنيـة، باعتبـار أن رئيـس هيئـة الأركان المشـتركة فـي القـوات المسـلحة هـو عضـو أصيـل في المجلـس، فضلًا عـن أن قـادة الجيش والحـرس الثـوري يشـاركون -إذا لزمـت الحاجـة- فـي اجتماعاتـه.

بالطبـع، فـإن هـذه المؤسسـات بقسـميها تخضـع لإشـراف مباشـر مـن جانـب المرشـد الأعلـى للجمهوريـة، الـذي يتولـى صلاحيـة تعييـن ممثليـن اثنيـن لـه فـي المجلـس الأعلـى للأمـن القومـي، فـضلًا عـن تعييـن قـادة الجيـش والحـرس الثـوري. ويمكـن تنـاول أدوار هـذه المؤسسـات في التصعيد العسـكري مع إسـرائيل **على النحو التالي:**

- **المجلـس الأعلـى للأمـن القومـي:** بـدا واضحًـا أن تأثيـر الهجـوم الإسـرائيلي علـى القنصليـة الإيرانيـة في دمشـق، في 13 أبريل 2024، قـوي علـى إيـران، خاصـة أنـه أسـفر عـن تدميـر المبنـى ومقتـل 7 مـن كـوادر الحـرس الثـوري كان فـي مقدمتهـم قائـد فيلـق القـدس التابـع للحـرس الثـوري في سـوريا ولبنـان محمـد رضـا زاهـدي. فقـد عقـد المجلـس الأعلـى للأمـن القومي اجتماعًـا في اليـوم نفسـه الـذي شـنّت فيـه إسـرائيل الهجـوم.

ويبـدو مـن الرسـائل التـي وجّههـا المسـئولون الإيرانيـون الذيـن شـاركوا فـي هـذا الاجتمـاع، ولا سـيما الرئيـس إبراهيـم رئيسـي الـذي يتولـى بحكـم منصبـه رئاسـة المجلـس، ووزيـر الخارجيـة حسـين أميـر عبـد اللهيـان، **أنـه تـم الاتفـاق علـى خطوتيـن:**

الخطـوة الأولـى، ضـرورة الـرد عسـكريًا وبشـكل مباشـر علـى الهجـوم الإسـرائيلي. فرغـم أن هـذا الهجـوم ليـس الأول مـن نوعـه، حيـث سـبقته هجمـات إسـرائيلية عديـدة ضـد مواقـع إيرانيـة فـي سـوريا، أسـفرت عـن مقتـل قـادة بارزيـن فـي الحـرس الثـوري، علـى غـرار القيـادي المسـئول عـن الدعـم الإيرانـي للمليشـيات

رضا موسوي، الذي قتل في 25 ديسمبر 2023، إلا أنه اكتسب أهمية خاصة لكونه هجومًا على مقر تابع للبعثة الدبلوماسية الإيرانية. هنا، فإن إيران اعتبرت أن إسرائيل تجاوزت "المحظور" من ناحيتين: الأولى، أنها هاجمت "أرضًا" إيرانية وليست سورية باعتبار أن مقار البعثات الدبلوماسية هي جزء من أراضي الدول التابعة لها. والثانية، أنها أعلنت مسئوليتها عنه على عكس العمليات الاستخباراتية التي نفذتها داخل إيران نفسها واستهدفت فيها منشآت نووية وعسكرية وبعض العلماء النوويين والقادة العسكريين ولم تعلن مسئوليتها عنها. ومن هنا، اعتبرت إيران أن الهجوم العسكري المباشر هو الخيار الوحيد المتاح أمامها للرد على الهجوم الإسرائيلي.

الخطوة الثانية، هي إجراء اتصالات وتبادل رسائل مع الولايات المتحدة الأمريكية، المعلن منها كان عن طريق السفارة السويسرية في طهران التي تتولى رعاية المصالح الأمريكية في إيران. وهنا، فإن إيران سعت إلى تحقيق هدفين: الأول، محاولة تحييد الولايات المتحدة الأمريكية، عبر إبلاغها أن مصالحها لن تكون ضمن "بنك الأهداف" الإيرانية في الرد على الهجوم الإسرائيلي، وهو هدف لم يتحقق نسبيًا، باعتبار أن الأخيرة شاركت في صد الهجمات التي شنتها إيران بالفعل ضد إسرائيل بالتعاون مع بريطانيا وفرنسا، وإن لم تشارك في الرد العسكري الإسرائيلي على تلك الهجمات، والذي حدث بعد ذلك بستة أيام.

والثاني، تقليص احتمالات تحول التصعيد العسكري المباشر إلى حرب واسعة النطاق. وهنا، كان لافتًا أن إيران استغرقت وقتًا وصل إلى نحو أسبوعين قبل الرد على القصف الإسرائيلي للقنصلية الإيرانية، على نحو يمكن تفسيره بمحاولاتها وضع هذا الرد في إطار لا يتجاوز حساباتها، بشكل يمكن أن يدفع إسرائيل إلى الرد بقوة أكبر، والولايات المتحدة الأمريكية إلى المشاركة في هذا الرد.

وربما يفسر ذلك أسباب حرص إيران على استخدام طائرات من دون طيار وصواريخ استغرق وصولها إلى إسرائيل ساعات عديدة، على نحو مكن الأخيرة، بالتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا، من التصدي لها. فالهدف الأساسي بالنسبة لإيران لم يكن تكبيد إسرائيل خسائر بشرية أو مادية بقدر ما كان تأكيد القدرة على تحقيق ذلك في حالة ما إذا تجدد هذا التصعيد أو تحول إلى حرب شاملة.

- **القوات المسلحة:** لم تَحُلْ قيادة الحرس الثوري لتلك الهجمات دون مشاركة الجيش فيها، على نحو أكده البيان الذي أصدره الأول، في 13 أبريل 2024، وجاء فيه أن "عملية الوعد الصادق تمت بموافقة المجلس الأعلى للأمن القومي، وتحت إشراف الأركان العامة للقوات المسلحة الإيرانية ومساندة وزارة الدفاع والقوات المسلحة".

هنا، فإن تلك الخطوة ربما كانت متعمدة لدحض التكهنات التي كانت تشير دائمًا إلى وجود خلافات مزمنة بين الحرس والجيش، وأن هذه الخلافات تتسبب في حدوث ثغرات أمنية كان لها دور في تعرض منشآت إيران العسكرية والأمنية لهجمات نسبت إلى جهاز "الموساد" الإسرائيلي. بل إن تقديرات عديدة أشارت إلى أن هذه الخلافات ظهرت إلى العلن عقب اغتيال القائد السابق لفيلق القدس التابع للحرس الثوري قاسم سليماني في العملية العسكرية التي شنتها الولايات المتحدة الأمريكية في بغداد في 3 يناير 2020، وما تسبب فيه من خلل في توازنات القوى العسكرية داخل إيران نفسها، في ظل النفوذ الواسع الذي كان يمتلكه داخليًا وخارجيًا.

واللافت في هذا السياق أيضًا أن إسرائيل استهدفت في هجومها على إيران، في 19 أبريل 2024، قاعدة "هشتم شكاري" الجوية في أصفهان، وهي قاعدة تابعة للجيش الإيراني، على نحو يوحي بأن الأخير كان له دور في التصعيد العسكري ضدها.

في النهاية، ورغم حرص إيران وإسرائيل على ضبط مستوى التصعيد العسكري المباشر الذي جرى على مدار الفترة من 1 إلى 19 أبريل 2024، وربما سعيهما إلى العودة للمقاربة السابقة على قصف القنصلية الإيرانية في دمشق، إلا أنه لا يمكن استبعاد أن تتجدد المواجهات المباشرة بين الطرفين. فقد تم تجاوز "المحظور" في الأساس وبدا الطرفان في حاجة إلى بناء قواعد جديدة للردع، في ضوء الخلافات المتصاعدة، والتي ساهمت في تأجيجها الحرب الإسرائيلية في قطاع غزة.

أثر تغير معادلة الاشتباك بين إيران وإسرائيل على وكلاء طهران

أدى التصعيد المتبادل بين إسرائيل وإيران خلال شهر أبريل 2024 إثر استهداف تل أبيب للقنصلية الإيرانية في دمشق، ثم شن هجوم إيراني على إسرائيل، وما أعقبه من عملية إسرائيلية محدودة في مدينة أصفهان الإيرانية، إلى تغيرٍ نوعيٍ في معادلة الاشتباك بين الطرفين قوامه الاستهداف المباشر لأراضي الطرفين، وهو الأمر الذي يعني ضمنًا إلحاق تأثيرات ليست بالقليلة على وكلاء إيران أو الجماعات والفصائل الموالية لها في المنطقة، خاصة في سوريا واليمن والعراق ولبنان، لا سيّما أن هذا التصعيد قد ترافق معه تصعيد نسبي من جانب هذه الفصائل.

محمد عبد الرازق
باحث أول بالمرصد المصري
المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

تحييد جزئي

عبر الهجوم الإيراني المباشر على إسرائيل عن سعي طهران إلى تحييد وكلائها بصورة جزئية عن هذا الهجوم، لتكون مشاركتهم أقرب إلى الرمزية، حيث تمثلت في بضعة صواريخ انطلقت من اليمن والعراق وسوريا ولبنان، فيما كانت القوة الضاربة للهجوم من صواريخ وطائرات مُسيَّرة صادرة من الأراضي الإيرانية مباشرة؛ وهو الأمر الذي يشير إلى عدة دلالات أساسية:

- **ترميم الصورة:** كان الهدف الأساسي من الهجوم الإيراني على إسرائيل هو ترميم صورتها التي اهتزت بصورة بالغة بعد الهجوم الإسرائيلي على قنصليتها في دمشق، ليس فقط بسبب الاستهداف في حد ذاته، وإنما لحجم الاختراق الاستخباري الذي توصلت بموجبه إسرائيل إلى وجود عدد من قادة الحرس الثوري الإيراني في هذا التوقيت داخل مبنى القنصلية، بما أسفر عن مقتل سبعة ضباط، منهم العميد محمد رضا زاهدي قائد عمليات فَيْلَق القدس بالحرس الثوري في سوريا ولبنان. ومن ثَمّ أرادت طهران من خلال تصدرها مشهد الرد الانتقامي على إسرائيل أن تعيد الثقة في النظام وقدرته على الرد داخل إسرائيل، سواء أكانت ثقة الشعب الإيراني التي كان من المؤكد أنها ستهتز بصورة بالغة إذا لم ترد إيران على هذا الاعتداء، أو ثقة وكلائها التي من المحتم فقدانها إذا رأوا أن طهران استُهدفت أراضيها الاعتبارية في دمشق وقتل قادتها ولم ترد، وبالتالي لا يمكن الوثوق فيها على المستوى القيادي والتوجيهي أو العملياتي.

- **عدم الرغبة في التصعيد:** ظهر من الهجوم الإيراني بكل تفاصيله رغبة واضحة في عدم التصعيد بشكل قد يؤدي إلى انجرار الأمور إلى مواجهة عسكرية مباشرة، وعدم تجاوز الهجوم هدفه الأساسي المتمثل في حفظ ماء الوجه والرد على استهداف القنصلية بدمشق فحسب. لقد كان بإمكان طهران أن تشن هجومًا كبيرًا متعدد الجبهات بما يشمل صواريخ باليستية ومجنحة وطائرات مسيرة هجومية وانتحارية من كل من إيران ولبنان والعراق واليمن وسوريا، إلى حد يُصعّب إلى حد كبير مهام الدفاع الجوي لإسرائيل وحلفائها في الاعتراض، وإصابة أهداف حاسمة داخل إسرائيل؛ إلا أنها أحجمت عن ذلك، وشنت الهجوم بالشكل الذي ظهر عليه، حتى لا يتجه المشهد إلى التصعيد الذي لن تستطيع تحمل تبعاته وتكلفته لاحقًا.

- **الحفاظ على الأصول:** لا يبتعد مشهد الرد الإيراني عن رغبة إيرانية كذلك في الحفاظ على أصولها بالمنطقة والمتمثلة في وكلائها بالعراق وسوريا ولبنان واليمن، فإذا ما نفذت هجومًا كبيرًا متعدد الجبهات سيكون هؤلاء الوكلاء عرضة لهجوم قد يكون مدمرًا من جانب إسرائيل وحدها أو بالاشتراك مع الولايات المتحدة، وهو أمر له تكلفته الكبيرة بالنسبة لإيران، وقد تخاطر بالمكتسبات التي حققتها طيلة سنوات من خلال هؤلاء الوكلاء. أما ردها منفردة بصورة أساسية على الهجوم الإسرائيلي يجعل مشهد التصعيد مُدارًا -إلى حد كبير- وقابلًا للتفاوض، بما يجنب الوكلاء تداعياته وارتداداته.

تغيير معادلة الاشتباك

أدى التصعيد الإسرائيلي الإيراني في جولاته الأخيرة إلى تغيير معادلة الاشتباك بين الطرفين إلى حد كبير بعدما استهدفت طهران تل أبيب مباشرة، لذلك من المحتمل أن تنعكس آثار هذا التصعيد على هؤلاء الوكلاء من خلال عدة صور، منها ما يلي:

- **توسيع دائرة الاستهداف:** على الرغم من تغير معادلة الاشتباك بين إيران وإسرائيل والتحول إلى الاستهداف المباشر بدلًا من استهداف الوكلاء، إلا أن الرغبة في تجنب المواجهة العسكرية المباشرة وعدم التصعيد الشامل يجعل من استمرار إسرائيل استهداف وكلاء إيران في المنطقة أمرًا مرجحًا، ولكن بتوسيع دائرة هذا الاستهداف بحيث لا تتوقف على الأهداف التقليدية التي كانت إسرائيل تستهدفها سابقًا وخاصة في سوريا، وإنما لتشمل أهدافًا أخرى.

يؤشـر الهجـوم علـى مقـر قيـادة أركان الحشـد الشـعبي العراقـي بقاعـدة كالسـو العسـكرية بمحافظـة بابـل يـوم 20 أبريـل 2024 إلـى هـذا الأمـر؛ إذ أعطـى هـذا الهجـوم رسـائل إسـرائيلية لإيـران ووكلائهـا فـي العـراق بأنهـا قـادرة علـى الوصـول واسـتهداف أهداف حيوية في قلب إيران والعراق، وأن نشاطها الاستخباري فـي العـراق كبيـر وقـادر علـى إحـداث إصابـات دقيقـة والإضـرار بالقدرات العسكرية للفصائل العراقية، في مسعى لتعزيز معادلة الـردع التي اهتـزت بشـدة مع هجـوم إيـران المباشـر علـى إسـرائيل.

- **التعـرض لعمليـات اسـتباقية:** يطـرح التصعيـد الإيرانـي الإسـرائيلي احتمـالات بـأن تلجـأ تـل أبيـب إلـى شـن ضربـات أو عمليـات اسـتباقية ضـد وكلاء إيـران، خاصـة فـي لبنـان وسـوريا والعـراق، وذلـك لعـدة اعتبـارات، منهـا التخـوف مـن عناصـر القـوة التـي تراكمـت لـدى أولئـك الـوكلاء، خاصـة حـزب الله فـي لبنـان وفصائـل الحشـد الشـعبي فـي العـراق، ولا سـيّما مـع تصاعـد هجمـات كليهمـا علـى أهـداف فـي الداخـل الإسـرائيلي وصلـت إلـى 88 عمليـة نفذهـا مـا يُسـمى بـ"المقاومـة الإسلاميـة في العـراق" خلال 200 يـوم مـن الحـرب علـى غـزة.

إضافة إلى تجاوز حزب الله قواعد الاشتباك السارية مع إسرائيل باسـتهداف بعـض الأهـداف العسـكرية علـى عمـق كبيـر داخـل إسـرائيل، وإخفـاق تعميـق تـل أبيـب عملياتهـا فـي جنـوب لبنـان فـي ردع الحـزب عـن مواصلـة العمليـات. يضـاف إلـى ذلـك أن اسـتئناف الفصائـل العراقيـة عملياتهـا ضـد القواعـد الأمريكيـة في العـراق وسـوريا بعـد اسـتهداف مقـر قيـادة أركان الحشـد الشـعبي وفشـل زيـارة رئيـس الـوزراء العراقـي محمـد شـياع السـوداني إلـى واشـنطن في التوصـل إلـى تفاهـم لسـحب القـوات الأمريكيـة مـن العـراق، بعـد أن توقفـت عقـب اسـتهداف مقـر البـرج 22 علـى الحـدود الأردنيـة السـورية فـي ينايـر 2024؛ قـد يحفـز الولايـات المتحـدة علـى تنفيـذ مثـل هـذه العمليـات الاسـتباقية منفـردة أو مـع إسـرائيل بمـا مـن شـأنه تعزيـز الـردع مـع هـذه الفصائـل.

- **القيـادة الذاتيـة:** لمّـا كانـت سـوريا مـن أهـم مناطـق انتشـار قـوات الحـرس الثـوري الإيرانـي والمليشـيات الموالية أو التابعة لهـا، وتمثـل حلقـة وصـل غاية في الأهمية بيـن مختلف وكلاء طهـران في المنطقـة وطريـق نقـل وإمـداد رئيسـي للأسـلحة والصواريـخ لهـؤلاء الـوكلاء؛ يمكـن القـول إن اسـتهداف إسـرائيل لهـذا الحضـور قـد يتزايـد كنتيجـة للتصعيد مـع إيـران.

مـن هنـا، قـد تعمـد طهـران إلـى سـحب أعـداد كبيـرة مـن مستشـاريها العسـكريين وكبـار ضباطهـا مـن سـوريا، لا سـيّما مـع الاختـراق الاسـتخباري الكبيـر الـذي يكشـف بشـكل دقيـق خرائـط دقيقـة للوجـود الإيرانـي وحركـة القيـادات. مـع الاعتمـاد في قيـادة وتوجيه المليشـيات علـى ضبـاط إيرانييـن أقـل قـدرًا أو الاعتمـاد بصـورة أكبـر علـى العناصـر القياديـة مـن حـزب الله، علـى اعتبـار تضخـم دور الحـزب مـن مجـرد وكيـل لإيـران إلـى مـا يمكـن اعتبـاره فَيْلقًـا موازيًـا لفَيْلـق القـدس في بعـض الأحيـان داخـل الحـرس الثـوري. يضـاف إلـى ذلـك احتمـالات لجـوء إيـران إلـى سـحب أجـزاء غيـر قليلـة مـن قواتهـا مـن الشـريط الحـدودي مـع إسـرائيل عنـد منطقـة الجـولان فـي الجنـوب السـوري خشـية اسـتهدافها وبغيـة تحقيـق هـدوء نسـبي في هـذه المنطقـة. إلا أن هـذا التحـول يوصـف بالتكتيكـي وليـس بالاسـتراتيجي؛ أي أنـه قـد يكـون علـى المـدى القصيـر فقـط.

ختامًـــا، إن التصعيـد الإسـرائيلي الإيرانـي قـد غيـر معادلـة الاشـتباك بيـن الطرفيـن مـع تعهـد إيرانـي باسـتمرار هـذا التغيـر، أي اسـتهداف الداخـل الإسـرائيلي مـع كل هجـوم إسـرائيلي، وهـو مـا يمكـن نظريًـا أن يخفـف الضغـوط علـى وكلاء إيـران، لكـن عمليًـا لا يمكـن اسـتبعاد الـوكلاء كطـرف رئيسـي فـي هـذه المعادلـة الجديـدة. علاوة علـى ذلـك، فـإن تداعيـات هـذا التصعيـد قـد لا تكـون طويلـة المـدى علـى وكلاء إيـران في المنطقـة؛ إذ إن أي تأثيـر واسـع أو محـوري علـى مسـتقبل هـؤلاء الـوكلاء يتطلـب نهجًـا أكثـر تصعيـدًا بكثيـر علـى المسـتوى العملياتي ممـا تبـدو عليـه ملامـح هـذا التصعيـد، وهـو مـا سـيقود حتمًـا إلـى مواجهـة مباشـرة يسـعى الطرفـان الإيرانـي والإسـرائيلي، فـضلًا عـن الطـرف الأمريكـي، إلـى تجنبهـا بشـتى السـبل.

تداعيات التصعيد الإسرائيلي-الإيراني على أمـــــن الأردن

فرضت طبيعة الموقع الجيوسياسي للأردن تأثره بالتوترات الإقليمية بين إيران وإسرائيل وبالتهديدات الأمنية نتيجة الأوضاع الهشة في الدول المجاورة، بما يفرض عليه تحديات مستقبلية متنوعة سياسية واقتصادية واجتماعية، وضرورة الموازنة بين مصالحه الاستراتيجية وثوابت السياسة الخارجية الأردنية تجاه القضية الفلسطينية. وعليه يبدو من الأهمية فهم التداعيات الخطرة التي يرتبها التصعيد الإسرائيلي-الإيراني على أمن واستقرار الأردن.

رحاب الزيادي
باحثة بوحدة الدراسات العربية والاقليمية
المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

موقع متشابك

يُعـد الموقـع الجيوسياسـي للأردن متشـابكًا مـع التفـاعلات الإقليميـة الجاريـة بيـن إيـران ووكلائهـا وإسـرائيل وداعميهـا، حيث يتأثـر الأردن بهـذه الاضطرابـات، خاصـة أن المليشـيات التابعـة لإيران في العـراق وسـوريا سـبق أن وجهـت ضربـات للقاعـدة الأمريكيـة في الشـمال الشـرقي للأردن "البـرج 22"، بالقـرب مـن منطقـة التنف السـورية فـي هجـوم بطائـرة بـدون طيـار فـي 28 ينايـر الماضـي؛ الأمـر الـذي نتـج عنـه مقتـل ثلاثـة جنـود أمريكييـن، وإصابـة نحـو 40 فـردًا. وهـو الهجـوم الـذي تبنتـه "كتائـب حـزب الله" العراقيـة، وعُـدّ ذلـك تحـولًا نوعيًـا لامتـداده إلـى الحـدود الأردنيـة-السـورية. يضـاف إلى ذلـك اسـتمرار التوتـرات الإقليميـة الجاريـة علـى خلفيـة الحـرب فـي غـزة، بمـا مثـل تهديـدًا مباشـرًا لأمـن الأردن الإقليمـي.

مـن جانـب آخـر، قام الطيران الإسـرائيلي بغـارة على مبنـى القنصلية الإيرانيـة فـي دمشـق فـي الأول مـن أبريـل 2024، ممـا أدى إلـى مقتـل محمـد رضـا زاهـدي أحـد قـادة فَيْلـق القـدس، ونائبـه العميـد محمـد هـادي حـاج رحيمـي وآخريـن. لذلـك وجهـت طهـران ضربـات بمئـات الطائـرات المُسـيَّرة، وعشـرات الصواريـخ لإسـرائيل فـي 13 أبريـل الماضـي. ونجحـت القـوات الجويـة الأردنيـة فـي إسـقاط عشـرات الطائـرات الإيرانيـة المتجهـة إلـى إسـرائيل. وفـي سـياق هـذه الهجمـات المتبادلـة، قامـت إسـرائيل بالهجـوم علـى موقـع عسـكري فـي مدينـة أصفهـان الإيرانيـة فـي فجـر يـوم 19 أبريـل 2024 عبـر ثلاث مسـيرات، لكـن طهـران تصـدت لهـا لتسـقطها فـي منطقـة تبريـز علـى بعـد حوالـي 500 ميـل شـمال أصفهـان.

مـن ثَـمّ يقـع الأردن وسـط هـذه التوتـرات الإقليميـة التـي تهـدد أمنـه، خاصـة أن الموقـع الجغرافي لـه علـى مقربـة مـن سـوريا فـي الشـمال، والعـراق فـي الشـرق، والسـعودية فـي الجنـوب الشـرقي والجنـوب، والضفـة الغربيـة وإسـرائيل مـن الغـرب، وتُعـد الضفـة الغربيـة أقـرب للعاصمـة الأردنيـة عمـان بنحـو 27 كـم. ودائمًـا مـا يشـهد الأردن توتـرات مـن الحـدود الشـرقية نتيجـة سـيطرة المليشـيات التابعـة لإيـران فـي العـراق، والحـدود الشـمالية مـن سـوريا والغربيـة مـع إسـرائيل، بالإضافـة إلـى التوتـرات الجاريـة فـي جنـوب لبنـان واليمـن.

انعكاسات متعددة

ثمـة انعكاسـات خطـرة للتصعيـد الإسـرائيلي-الإيراني علـى أمـن واسـتقرار الأردن، يمكـن طرحهـا علـى النحـو التالـي:

- **تهديـد الحـدود:** تفاقـم التوتـرات الإقليميـة والتصعيـد بيـن إسـرائيل والأردن مـن التهديـدات الأمنيـة التـي يعانـي منهـا الأردن، حيـث سـاهمت الحـدود الرخـوة للأردن مـع كل مـن سـوريا والعـراق فـي انتقـال المخـدرات والأسـلحة بمـا يؤثـر علـى بنيـة المجتمـع الأردني، حيـث تنشـط عصابـات تهريـب الكبتاغـون مـن سـوريا إلـى الأردن ومنهـا المليشـيات الموالية لإيـران، بمـا يزعـزع اسـتقرار المملكـة ونسـيجها المجتمعـي.

لذلـك، تتحمـل عمـان عـبء تأهـب الأمـن الداخلـي فـي ظـل اسـتمرار التصعيـد الإسـرائيلي فـي الضفـة الغربيـة، ومـن ناحيـة أخـرى تواجـه مخاطـر التصعيـد الإسـرائيلي الإيرانـي، خاصـة أن موقـع الأردن الجغرافـي يجعلـه فـي موقـف دفاعـي تخوفًـا مـن اسـتهدافه أو تحولـه سـاحةً للصـراع، فقـد اعتـرض الأردن طائـرة مُسـيَّرة إيرانيـة قادمـة مـن العـراق، وحلقـت فـوق جنـوب الأردن ومدينـة العقبـة، ثـم اتجهـت إلـى ميناء إيلات الإسـرائيلي.

- **تأثيـرات اقتصاديـة:** يسـتقبل ميناء العقبـة نحـو ثلـث وارداتـه عبـر البحـر الأحمـر، ويصـدر مـن خلالـه أكثـر مـن 50% مـن صادراتـه مـن البوتـاس والفوسـفات إلـى دول العالـم، لذلـك فـإن اسـتمرار التوتـر فـي منطقـة البحـر الأحمـر علـى خلفيـة الحـرب فـي غـزة وهجمـات الحوثييـن، مـن شـأنه التأثيـر علـى حركـة الصـادرات والـواردات الأردنيـة، حيـث تسـتضيف العقبـة ميناء الحاويـات الوحيـد فـي الأردن، والـذي يعمـل كمركـز للعبـور إلـى أماكـن أخـرى فـي المنطقـة.

مـن جانـب آخـر، فـإن التصعيـد الإقليمـي قـد يؤثـر علـى اتفاقيـة السـلام الأردنية-الإسـرائيلية، وكذلـك اتفاقيـة الطاقـة مقابـل الأمـن مـع إسـرائيل، خاصـة أن الأردن مـن الـدول التـي تعانـي نـدرة الميـاه، ويبلـغ احتياجـه مـن الميـاه 1.4 مليـار متـر مكعـب، وتمنـح اتفاقيـة مبادلـة الميـاه الإسـرائيلية بالطاقـة الشمسـية مـن عمـان اسـتيراد نحـو 200 مليـون متـر مكعـب، ونتيجـة للقـدرات التكنولوجيـة التـي

تتمتع بها إسرائيل في تحلية المياه، أصبحت تمتلك فائضًا من المياه العذبة بما يجعلها قادرة على تلبية الاحتياجات الأردنية، كما أن الأردن يعتمد على واردات الغاز الطبيعي الإسرائيلي للطاقة الكهربائية من حقل ليفياثان، ونتيجة خفض إسرائيل للصادرات بعد اندلاع الحرب في غزة، تأثر الأردن بذلك الخفض. كما قامت إيران بتعطيل إمدادات النفط العراقي إلى الأردن لمدة يومين كأحد تداعيات التوترات الإقليمية.

- **أعباء أمنية:** تخلق التوترات الإقليمية بين إيران وإسرائيل ودعم الولايات المتحدة للأخيرة ضغوطًا على الأردن بين ثوابته الخارجية ومساندته للقضية الفلسطينية، والحفاظ على استراتيجية العلاقات مع الولايات المتحدة وإسرائيل. إذ إن استمرار التوتر بين إيران وإسرائيل يمثل تهديدًا للقواعد العسكرية الأمريكية في جنوب الأردن، حيث يمكن أن تصبح أهدافًا محتملة من قبل وكلاء إيران في سوريا والعراق ولبنان، بما يجعل الأردن ساحة لتصفية الحسابات مع استمرار الهجمات سواء باتجاه إسرائيل أو ضد وجود القوات الأمريكية في الأردن نظرًا لموقعها الجغرافي، ووجود نحو 3000 جندي أمريكي في الأردن.

كما أن إطلاق الصواريخ باتجاه إيلات القريبة من العقبة، فضلًا عن استهداف الأردن عدة مرات من سوريا بطائرات بدون طيار وهجمات صاروخية، يضع على الأردن أعباء أمنية إضافية في ظل تهديدات حدودية من الدول المجاورة، نتيجة حالة عدم الاستقرار في العراق وسوريا.

- **زعزعة الاستقرار الداخلي:** يُفاقم التصعيد الإيراني-الإسرائيلي نتيجة الحرب الدائرة في غزة من زعزعة الاستقرار الداخلي في الأردن، حيث ترتبط عمان بعلاقات وثيقة وديموغرافية مع فلسطين، ويمثّل ذوو الأصول الفلسطينية

نسبةً كبيرةً من سكان الأردن بنحو أكثر من 50%، بما أدى إلى زيادة الأصوات الشعبية الأردنية الرافضة للانتهاكات الإسرائيلية ضد الفلسطينيين، وخرج الآلاف من الأردنيين إلى الشارع للتعبير عن رفضهم للحرب على قطاع غزة، وهو ما دعمته أحزاب المعارضة في الأردن، حيث حاول بعض المتظاهرين اقتحام السفارة الإسرائيلية في عمان، وطالبوا بفتح الحدود لمساندة الفلسطينيين في الحرب، ومن شأن هذه التظاهرات زعزعة حالة الاستقرار الداخلي في الأردن.

ويخشى الأردن من انضمام العشائر الأردنية إلى حماس في مواجهة إسرائيل على خلفية الحرب الإقليمية الجارية، بما يؤدي إلى تعزيز نفوذ حزب جبهة العمل الإسلامي الأردني في الانتخابات البرلمانية القادمة والمقرر عقدها في سبتمبر 2024، لكونه يدعم المقاومة في مواجهة إسرائيل، وقد يُمثل استمرار الحرب في غزة مؤشرًا مستقبليًا على تعزيز نفوذ وسيطرة الإخوان في الأردن.

من ناحية أخرى، يميل الإخوان في الأردن إلى إعادة النظر في علاقة عمان بحركة حماس، وأهمية التقارب مع الأخيرة لحماية الأمن القومي الأردني ضد التهديدات الإسرائيلية، إذ يوجهون انتقادات للحكومة الأردنية في التعاطي مع حركة حماس. ويوضح استطلاع للرأي أجراه معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى خلال شهر ديسمبر 2023، ارتفاع شعبية حماس وتأييد 85% من الأردنيين لها، إذ إن لديهم وجهة نظر إيجابية تجاهها.

وهناك تخوف أردني من امتداد النفوذ الشيعي إلى الأردن في ظل التغلغل الإيراني في العراق وسوريا ولبنان، وحاول "خالد مشعل" رئيس حركة حماس توظيف ورقة العشائر الأردنية عبر توجيه دعوة في 11 أكتوبر 2023 للعرب والمسلمين للنفير من أجل فلسطين، وخصص جزءًا من خطابه لحث العشائر الأردنية على دعم المقاومة الفلسطينية. وتؤثر دعوات التظاهر للعشائر في الأردن وتأجيج النعرات الطائفية والسياسية سلبًا على استقرار الأردن وأمنه بما يُفاقم الاضطرابات الإقليمية.

من ناحية أخرى، يفاقم استمرار التوترات الإقليمية والتصعيد الجاري في غزة من خطورة تدفق اللاجئين للأردن الذي يستضيف نحو مليوني لاجئ، فضلًا عن أن إجراء عملية عسكرية إسرائيلية برفح الفلسطينية يمثل تهديدًا لأمن الأردن في ظل التخوف من تهجير الفلسطينيين إليها نتيجة هذه العملية. ويتحمل الأردن بالأساس عبء تدفق اللاجئين العراقيين والسوريين والفلسطينيين إلى أراضيه نتيجة الإضرابات السياسية والأمنية؛ مما خلق ضغوطًا كبيرة على الدولة وأثر في أوضاعها الاقتصادية واستقرارها الاجتماعي.

ختامًـــا، يتأثر الأردن بالتفاعلات الإقليمية الدائرة بين إسرائيل وإيران لموقعه الجيوسياسي الذي يجعله في وسط الاضطرابات الإقليمية والدولية، بما يفرض عليه ضرورة المواءمة بين لعب دور فعال ومتوازن يحقق مصالحه الاستراتيجية من ناحية، والحافظ على ثوابت سياسته الخارجية تجاه القضية الفلسطينية من ناحية أخرى.

مستقبل تنظيمات الإرهاب في ظل تفاقم صراعات المنطقة

مـع انـدلاع الأحـداث فـي قطـاع غـزة علـى خلفيـة انـطلاق عمليـة "طوفـان الأقصـى" فـي 7 أكتوبـر 2023، بـرزت العديـد مـن التكهنـات حـول تداعيـات الحـرب الإسـرائيلية علـى قطـاع غـزة فـي تنشـيط الإرهـاب. وزاد مـن تعقّـد السـاحة الإقليميـة التصعيـد الإسـرائيلي-الإيراني كأحـد تبعـات تلـك الحـرب، ومـن ثـمّ تزايـد الحديـث حـول احتماليـة بـروز موجـة جديـدة مـن الإرهـاب، كانعـكاس لحالـة الاضطـراب الإقليمـي، وهـو مـا يسـتدعي محاولـة فهـم موقـف تنظيمـي "القاعـدة" و"داعـش" مـن الاضطرابـات الراهنـة فـي المنطقـة، فـي محاولـة لاستشـراف مسـارات عملهمـا المسـتقبلية.

تقى النجار
باحثة بوحدة دراسات الارهاب وقضايا التطرف
المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

تنظيم "القاعدة"

ثمة تداعيات محتملة قد تنصرف إلى مسارات عمل تنظيم "القاعدة"، في أعقاب حرب غزة والتصعيد الإسرائيلي الإيراني، أهمها:

- **توظيف حرب غزة:** حرص تنظيم "القاعدة" بأفرعه المختلفة مع انطلاق عملية "طوفان الأقصى" على إصدار سلسلة بيانات إعلامية تتضمن رؤيته حول المشهد، مثل نشر تنظيم "القاعدة في اليمن" بيانًا في ٩ أكتوبر 2023، بعنوان "بشأن عملية طوفان الأقصى المباركة"، أشاد فيه بالهجوم، وناشد الجوار الفلسطيني بمساندة الفصائل في الداخل على خلفية كونهم الأقرب جغرافيًا إلى فلسطين. كما أصدرت حركة "الشباب الصومالية" بيانًا في 11 أكتوبر 2023، حمل عنوان "تهنئة ومباركة بغزوة طوفان الأقصى"، موضحة أن المعركة مع "اليهود ليست معركة الفصائل الإسلامية في أرض فلسطين، وإنما هي معركة الأمة المسلمة كاملة".

في السياق ذاته، جاء بيان القيادة العامة لتنظيم القاعدة في 13 أكتوبر 2023 بعنوان "ألا إن نصر الله قريب"، والذي أثنى على دور "المجاهدين في فلسطين" في معركة "طوفان الأقصى" مؤكدًا أن "الطوفان القادم من أبطال الإسلام سيُنسي الصهيوصليبيين أهوال سبتمبر".

وعلى الرغم من حضور القضية الفلسطينية بقوّة في خطاب القاعدة الدعائي منذ نشأة التنظيم، فإن سجل هجماته ضد إسرائيل ضعيف مقارنة بعملياته في دول أخرى، الأمر الذي يُعرضه دائمًا لانتقادات واسعة. وبالتالي، يعكس هذا المشهد التوظيف البراجماتي من قبل التنظيم للقضية الفلسطينية كقضية كبرى في العالم العربي والإسلامي، بهدف الدعاية والتجنيد.

- **مصالح براجماتية مع إيران:** لم يَسْعَ تنظيم "القاعدة" للتعقيب على التصعيد الإسرائيلي الإيراني الأخير، على عكس الزخم الإعلامي الذي تعامل به مع مشهد الحرب في غزة، ويمكن فهم تعاطيه مع الأحداث بالعودة إلى العلاقة التي جمعت بينه وبين طهران، والتي اتسمت بتنحية الاختلافات الأيديولوجية مقابل تعزيز المصالح البراجماتية، وقد أتاح تواجد قيادات "القاعدة" في الداخل الإيراني قيام التنظيم بتنفيذ الكثير من العمليات المهمة، والتي مثلت تحديًا للولايات المتحدة وحلفائها. في المقابل، ساهم الملاذ الإيراني في الحفاظ على بقاء التنظيم، وأتاح حرية الحركة لقياداته وعناصره.

- **أولويات الفترة المقبلة:** يحمل مَشْهَدَا حرب غزة والتصعيد الإسرائيلي الإيراني العديد من التداعيات على نشاط تنظيم "القاعدة"، فمن المحتمل أن يركز أولويات استهدافه في الفترة المقبلة على أهداف غربية في ضوء التحريض الذي جاء في بيان القيادة العامة للتنظيم في أعقاب عملية "طوفان الأقصى"؛ إذ دعا إلى استهداف كل ما هو "صليبي وصهيوني وإسرائيلي في حرب مفتوحة". كما ينشد التنظيم تنفيذ عملية ضخمة يستهدف بها الغرب ليستعيد تفرده، ردًا على الضجة الإعلامية التي أحدثتها عملية "طوفان الأقصى" والتي كانت مشابهة -إلى حد كبير- للضجة التي أحدثتها أحداث 11 سبتمبر 2001.

من جانب آخر، قد يحمل التصعيد بين تل أبيب وطهران تداعيات من ضمنها تعزيز التعاون بين تنظيم القاعدة في اليمن وجماعة الحوثي، وبالتالي قد يمتد هذا التنسيق إلى استهداف الملاحة في البحر الأحمر، وما يدعم هذا التصور جملة عوامل؛ يتعلق أولها بوجود مؤشرات تقارب بين القاعدة في اليمن والحوثي على رأسها تجنب الأول توجيه ضربات في مناطق سيطرة الثاني، فضلًا عن إنشاء الأول وحدة متخصصة للطائرات بدون طيار بدعم وتدريب عملياتي من جانب الثاني. وينصرف ثانيها إلى حاجة القاعدة في اليمن إلى شن هجوم ضخم من أجل تعزيز سمعته وتأكيد وجوده على خلفية التحديات التي واجهها خلال السنوات الماضية. ويتصل ثالثها بتمتع القاعدة في اليمن بخبرة واسعة في عمليات الاستهداف البحري. فمثلًا، شن التنظيم هجمات بحرية ضد المدمرة الأمريكية "يو إس إس كول USS Cole" في عام 2000، وناقلة النفط الفرنسية "ليمبورغ Limburg" في عام 2002.

تنظيم "داعش"

تحمل حرب غزة والتصعيد الإسرائيلي الإيراني انعكاسات متعددة قد تنصرف إلى مسارات عمل تنظيم "داعش"، أهمها:

- **قتال العدو القريب: عقب عملية "طوفان الأقصى"**، جدد "داعش" الحديث عن استراتيجيته في تحرير الأراضي الفلسطينية في العدد (413) من صحيفة "النبأ" والتي صدرت في 19 أكتوبر 2023؛ وجاءت الافتتاحية بعنوان "خطوات عملية لقتال اليهود"، أوضح فيها أن الطريق لاستهداف إسرائيل يتحقق عبر مسارين؛ "أولهما، استهداف الوجود اليهودي في كل العالم أيًا كان شكل هذا الوجود، وخصوصًا الأحياء اليهودية ومهاجمة السفارات اليهودية". و"ثانيهما، استهداف جيوش وحكومات الدول العربية التي تمثل خطوط الدفاع الأمامية لليهود".

يمكن فهم هذا التصور من قبل التنظيم على خلفية أولوية الاستهداف لديه القائمة على قتال "العدو القريب"، والتي تعني محاربة الأنظمة العربية الحاكمة، وذلك في ضوء قناعته بأن "العدو القريب" أولى بالقتال، فضلًا عن أن سعيه إلى إسقاط الأنظمة العربية سوف يوفر له البيئة المناسبة لتأسيس خلافته المزعومة، ومن ثم التفرغ لاستهداف "العدو البعيد" المتمثل في الولايات المتحدة وحلفائها وعلى رأسهم إسرائيل. وتجدر الإشارة إلى أن التنظيم يحاول الجمع بين استراتيجية قتال "العدو القريب"، واستراتيجية قتال "العدو البعيد"، لكن تظل الأولوية لاستهداف "العدو القريب".

- **عداء مع إيران: بالتزامن مع التصعيد الإسرائيلي الإيراني الأخير**، جاءت افتتاحية العدد (439) من صحيفة "النبأ" والتي صدرت في 18 أبريل 2024، بعنوان "الوعد الكاذب"، حيث أشارت إلى فشل وضعف الرد الإيراني على الاستهداف الإسرائيلي للقادة الإيرانيين في دمشق، لافتة إلى أن "جرائم إيران في حق المسلمين تفوق جرائم اليهود"، مؤكدة على وضع "الرافضة واليهود والصليبيين والمشركين في كفة واحدة كعدو مشترك للإسلام".

ويتبنى "داعش" نهجًا قائمًا على تكفير الشيعة بمذاهبها، إذ يرى طبقًا لعقيدته أن "الرافضة طائفة شرك وردة"، ومن ثم أصر على مهاجمة الشيعة، وذلك على خلفية قناعته بأن استهداف المجتمعات الشيعية واجب ديني. كذلك لا يمكن غض الطرف عن الدور الذي لعبته الفصائل المدعومة من إيران في الضغط الأمني على التنظيم في معاقله التقليدية بالعراق وسوريا. وبالتالي، هناك عوامل متضافرة ساهمت في تأطير العداء بين "داعش" وإيران.

- **انعكاسات قائمة:** سعى تنظيم "داعش" منذ اندلاع حرب غزة إلى تجنب الانخراط بشكل مباشر في الصراع، لكن هذا لا يعني عدم توظيفه لها من أجل بناء هياكله التنظيمية في الساحات ذات الأولوية بالنسبة له، وعلى رأسها أفريقيا وآسيا، لا سيما وأنه في الوقت الحالي يعتمد على لا مركزية القيادة. حيث تظل المصالح الإسرائيلية خارج إسرائيل هدفًا محتملًا لداعش. فعلى الرغم من وجود فجوة واسعة بين خطابه الدعائي التحريضي ضد إسرائيل، وعملياته الفعلية التي استهدف بها الداخل الإسرائيلي؛ إلا أنه من المرجح أن يسعى لاستهداف المصالح الإسرائيلية في الخارج بهدف تحسين صورته وتقديم ذاته كمدافع عن القضية الفلسطينية.

ومن المتوقع أن يوظف التنظيم مشهد التصعيد الإسرائيلي الإيراني من أجل تعزيز نشاطه في الساحة الآسيوية على خلفية قدرته الواسعة على التجنيد في الشبكات الطاجيكية، ما يعيُد للأذهان الهجوم الذي نفذه في موسكو في مارس 2024، كما قد يستهدف الداخل الإيراني على غرار الهجوم الذي استهدف مدينة "كرمان" الإيرانية في مطلع العام 2024.

مجمل القول، إنّ تنظيمي "القاعدة" و"داعش" عملا على توظيف القضية الفلسطينية من أجل استغلالها في التجنيد دون انخراط مباشر فيها، لكن في الوقت الحالي يوفر المشهد في فلسطين وما به من انتهاكات إنسانية محفزًا رئيسًيا لتصاعد موجات من التطرف التي يمكن الاستثمار فيها من قبل كلا التنظيمين أو غيرهما. أما التصعيد الإسرائيلي الإيراني فينطوي على انعكاسات واسعة على مسارات عمل التنظيمين. فبالنسبة لـ"القاعدة" من المحتمل أن يوسع من شبكات تعاونه البراجماتية مع طهران في ضوء مؤشرات تقاربه مع "الحوثي". وبالنسبة لـ"داعش" من المرجح أن يستغل هذا التصعيد من أجل توسيع نشاطه في آسيا. ومن ثم يحمل هذا المشهد المعقد تداعيات مباشرة على نشاط التنظيمات الإرهابية باختلاف أجندة عملها، الأمر الذي ينعكس على الأمن الإقليمي والدولي.

قضايا السياسات العامة

- اتجاهات السياسة المصرية تجاه التصعيد الإسرائيلي-الإيراني
- ورشة عمل: مصر وتحديات ما بعد هجوم إسرائيل على إيران

اتجاهات السياسة المصرية تجاه التصعيد الإسرائيلي-الإيراني

أدخل التصعيد الإسرائيلي-الإيراني المنطقة في منعطف شديد الخطورة يستلزم من جميع الأطراف التحرك بحكمة لاحتواء الموقف ومنع تدهوره في الوقت الذي يسعون فيه إلى التكيف مع المتغيرات العميقة التي تجتاح المنطقة، فذلك التصعيد أمر يهم مصر بسبب تأثيراته على أمنها واقتصادها، كما أن التوتر المتزايد والتصعيد لمستوى الصراع العسكري يحدث بين دولة جوار مباشر (إسرائيل)، وأخرى رئيسية في إقليم الشرق الأوسط (إيران)، والبلدان يمثلان مكونين رئيسيين في المنطقة الآخذة في التشكل والتغير خلال العقود الخمسة الأخيرة.

د. جمال عبد الجواد
مدير برنامج السياسات العامة - عضو الهيئة الاستشارية
المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

لقد وصل الصراع بين إيران وإسرائيل إلى ذروة خطيرة في المواجهة المباشرة التي دارت بينهما، والتي كان لها مقدمات سابقة تمثلت في العديد من المواجهات غير المباشرة طيلة السنوات السابقة، والتي تصاعدت بسرعة منذ هجمات السابع من أكتوبر التي شنتها المقاومة الفلسطينية ضد إسرائيل. فهذا الصراع ليس وليد تطورات طارئة، أو سوء فهم عارض، لكنه صراع يختمر منذ فترة طويلة. فالطرفان، إيران وإسرائيل، يتصارعان من أجل السيطرة على المنطقة وتشكيلها، كل وفقًا لمصالحه، ولكل منهما سياسات تشمل المنطقة كلها، بجميع دولها، ولديه موارد تتيح له إدارة سياسة إقليمية طموحة واسعة النطاق.

موقع مصر ومصالحها

مصر دولة رئيسية في الشرق الأوسط، حيث لعبت تاريخيًا دورًا رئيسيًا في المنطقة لفترات طويلة، لكن متقطعة. فمنذ قيام الدولة الفاطمية، وحتى نهاية الدولة المملوكية كانت مصر مركزًا للإمبراطورية الإقليمية الأكبر لفترة امتدت لأكثر من خمسة قرون. وفي القرن التاسع عشر، كان التمرد المصري بقيادة محمد علي باشا ضد الإمبرطورية العثمانية المهيمنة على المنطقة هو الحدث الإقليمي الأهم في النصف الأول من القرن التاسع عشر. وفي النصف الثاني من القرن العشرين، ولعدة عقود، كانت مصر الناصرية مركزًا لحركة تضامن ونهوض سياسي عربي، جعل منها القوة الرئيسية في المحيط العربي، وزعيمة لحركة القومية العربية التي أقامت حاجزًا حدّ من تدخل القوى الإقليمية غير العربية في شئون الدول العربية.

لقد تغيّر هذا الوضع تمامًا بعد الثورة الإيرانية التي شجعت إيران على تبنّي طموحات إقليمية بعيدة المدى. كان شاه إيران يريد السيطرة على دول الخليج، بحيث يؤكد تفوق بلاده عليها، وموقعها المتميز في منطقة الخليج. بعد الثورة الإيرانية، تواصلت طموحات إيران الإقليمية، لكنها أصبحت أكثر اتساعًا وعمقًا، فبدلًا من الخليج أصبح العالم العربي برمته في مرمى الطموحات الإيرانية، وبعد التأثير على الحكومات أصبحت المجتمعات والدول هدفًا للنفوذ الإيراني، فسعت إيران لاختراق المجتمعات العربية مستندة إلى مزيج المذهب الشيعي وأيديولوجيا راديكالية إسلامية، وحققت أكبر النجاحات عندما تم توطين أيديولوجيا ولاية الفقيه الراديكالية في أوساط الطائفة الشيعية في لبنان. أما في المجتمعات السنية، فقد كانت جماعة الإخوان، ومن سار على دربها من جماعات الإسلام السياسي، أهم حلفاء إيران.

لإسرائيل وإيران مصالح ومخططات تتعارض مع المصالح المصرية، واستراتيجيًا وعلى المدى الطويل يصعب قيام علاقات تحالف بين مصر وبين أي من هذين البلدين. فإسرائيل دولة لها تاريخ خاص جدًا في المنطقة، بما يجعل منها جزءًا من الشرق الأوسط أمنيًا واستراتيجيًا، لكنها غريبة عنه حضاريًا وثقافيًا، إضافة إلى المشاعر السلبية الناتجة عن دور إسرائيل في حرمان الشعب الفلسطيني من حقوقه الوطنية المشروعة.

في الوقت نفسه، فإنّ طموحات القومية الفارسية للهيمنة، استنادًا إلى ميراث تاريخي، وكذلك العوامل المذهبية والأيديولوجية تفصل بين مصر وإيران. فبرغم أن أهل السنة، وهم غالبية المصريين، ليسوا في خصومة مع التشيع، فالتصوف وحب آل البيت يشكلان مسحة أساسية للممارسة السنية في مصر؛ إلا أن عقيدة ولاية الفقيه الراديكالية تتعارض تمامًا مع الانحياز إلى الاعتدال والبراجماتية المميزة للوطنية المصرية.

إيران وإسرائيل، كل بطريقته، يمثل لمصر مصدرًا للقلق الأمني، أما العمق الاستراتيجي والحلفاء الطبيعيون لمصر فيتمثلون في مجموعة الدول العربية، وإن كانت هذه المجموعة من الدول بعيدة عن تنظيم نفسها في تحالف متماسك.

سياسات متعددة المديات

في الصراع بين إيران وإسرائيل، تبحر مصر في مياه مضطربة تتطلب حسابات عالية الدقة، وتنفيذ احترافي لا يترك مجالًا للخطأ أو سوء الفهم. على السياسة المصرية العمل على تهدئة الصراع بين إيران وإسرائيل ومنع انفجاره،

وفي الوقت نفسه عليها تعزيز قدراتها الخاصة، والعمل على تعزيز مناعة المنطقة في مواجهة النفوذ الإيراني والإسرائيلي، من خلال تحصين المجتمعات والدول ضد الاختراقات الخارجية، وتعزيز القدرة الذاتية للدول العربية لضمان أمنها والدفاع عن النفس. ويمكن لمصر أن تصيغ سياساتها إزاء هذا الصراع وفقًا لمديات زمنية متتابعة.

- **سياسات المدى المباشر:** يمثل ارتفاع حدة التوتر والصراع في المنطقة تهديدًا خطيرًا لأمن مصر ومصالحها الاقتصادية. لذا، فإن على مصر تكثيف الاتصالات بالأطراف ذات الصلة، والعمل مع الشركاء الدوليين وفي المحافل الدولية، والعمل بكافة الوسائل الدبلوماسية والسياسية المتاحة من أجل احتواء الضرر الناتج عن الصراع، ونزع فتيل التوتر في المنطقة، وتشجيع الأطراف على إيجاد صيغ للتعايش السلمي، حتى لو كانت مؤقتة وغير مستقرة، فهذا في كل الأحوال أفضل من انفجار الصراعات المسلحة. هذا هو ما تفعله مصر بالفعل، الأمر الذي انعكس في التصريحات والبيانات الصادرة عن المؤسسات الرسمية المصرية، والذي لخصه البيان الصادر عن الخارجية المصرية، والذي جاء فيه أن مصر "تطالب الطرفين بممارسة أقصى درجات ضبط النفس والامتثال الكامل لقواعد القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة، محذرة من عواقب اتساع رقعة الصراع وعدم الاستقرار في المنطقة وآثارها الخطيرة على أمن وسلامة شعوبها".

- **سياسات المدى القصير:** من المفيد لمصر إقامة علاقات متوازنة مستدامة مع طرفي الصراع، وتطوير قنوات الاتصال السياسي والأمني المباشر مع الأطراف المختلفة، والدخول معها في حوارات متصلة حول الأوضاع الإقليمية وإدارتها بطريقة سلمية. لقد أثبتت العلاقات الدبلوماسية وقنوات الاتصال بين مصر وإسرائيل فاعليتها في رعاية المصالح واحتواء الخلافات، ويمكن أن يكون لعلاقات دبلوماسية كاملة مع إيران الأثر نفسه. لقد توسعت شبكة الأذرع الإيرانية في أنحاء المنطقة من العراق حتى اليمن، ويمكن للعلاقات الدبلوماسية وقنوات الحوار المفتوحة مع إيران الإسهام في تخفيف ما تتسبب فيه هذه الأذرع من أضرار وعدم استقرار.

- **سياسات المدى المتوسط:** الصراع الإيراني الإسرائيلي هو الصراع الرئيسي في منطقة الشرق الأوسط في هذه المرحلة، ولولا الضعف والتفكك العربي ما كان للصراع بين إيران وإسرائيل أن يحتل هذا الموقع المركزي في الإقليم. في العالم العربي فراغ ناتج عن تفكك بعض الدول العربية من ناحية، وعن التنافس الحاد وصعوبات التنسيق والعمل المشترك بين الدول العربية من ناحية أخرى. لن يكون من السهل ملء فراغ الفضاء الإقليمي العربي في فترة قصيرة، فالانهيارات التي استغرقت عقودًا طويلة لتصل إلى القاع الراهن تحتاج إلى مثابرة ووقت كافٍ لكي يتم تعديلها. ويمكن لمصر أن تلعب دورًا نشطًا في هذا الاتجاه، وهو ما يتوافق بشدة مع سياسة مصر العربية ذات الطابع التوافقي، والتي تركز على استعادة الدولة الوطنية في العالم العربي، وهي السياسة التي يمكن لها أن تستفيد من إسهامات مراكز الفكر من أجل تطوير الخطاب وتنويع أساليب العمل وزيادة فاعليتها.

الأساس الضروري لإنجاح السياسة المصرية في التعامل مع الصراع المتصاعد بين إسرائيل وإيران هو تعظيم قدرات مصر الذاتية، الاقتصادية والتكنولوجية والعسكرية، وتعزيز التماسك الوطني والاستقرار الداخلي، وتطوير نموذج مصري فعال في التنمية الاقتصادية والسياسية. فالهدف الاستراتيجي لمصر هو تعزيز مكانتها كقطب إقليمي يُسهم في صياغة أوضاع المنطقة، وقادر على التأثير في مجريات الصراع بين القطبين الإقليميين إيران وإسرائيل، ليس بغرض تحويل التنافس الثنائي بينهما إلى تنافس ثلاثي بدخول مصر إلى اللعبة الدائرة بينهما، ولكن بغرض إقامة نظام للأمن الإقليمي لديه القدرة على احتواء الصراع بين أطراف الإقليم، وعلى توجيه العلاقات بينهما إلى مسارات أقل صراعية وأكثر تعاونية.

ورشـــــة عمـــــل:
مصر وتحديات ما بعد هجوم إسرائيل على إيران

عقد المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية بالقاهرة، الأحد 21 أبريل 2024، ورشة عمل بعنوان "مصر وتحديات ما بعد الهجمة الإسرائيلية المحدودة على إيران"، ركزت على مناقشة أولويات الأمن القومي المصري في الإقليم في ضوء الاضطرابات التي يشهدها على خلفية المواجهات المُتبادلة بين إسرائيل وإيران والتي جاء آخرها في التاسع عشر من أبريل 2024 عندما قامت إسرائيل باستهداف بعض المواقع الإيرانية، وهو ما أسفر عن إصابة قاعدة عسكرية إيرانية بالقرب من إحدى المنشآت النووية في أصفهان.

وفقًا للرواية الإيرانية الرسمية، لم يُسفر الهجوم عن أضرار كبيرة، كما اعتبرته محدودًا ولم ينتج عن صواريخ أو أنشطة طائرات استباحت المجال الجوي الإيراني، بل عن إسقاط ثلاث طائرات مسيرة صغيرة ربما أُطلقت من الداخل، وبدون تحديد مصدر أو جهة مسئولة عن الهجوم، وبالتالي لم يعد هناك مبرر من وجهة نظرها للقيام برد على جهة غير محددة.

أدار الورشة د. عبد المنعم سعيد، رئيس الهيئة الاستشارية بالمركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية، وشارك فيها اللواء محمد إبراهيم الدويري، نائب المدير العام للمركز، وعدد من أعضاء الهيئة الاستشارية والخبراء بالمركز، وهم: اللواء محمد قشقوش، د. حسن أبو طالب، د. خالد حنفي، أ. عزت إبراهيم، د. أحمد أمل، د. هدى رؤوف، وعدد من الباحثين بالمركز.

اتجاهات رئيسية

خلصت النقاشات إلى طرح مجموعة من الاتجاهات الرئيسية حول الأحداث المتصاعدة وتبعاتها على أمن واستقرار المنطقة بصفة عامة، والمصالح المصرية خاصة، يتمثل أبرزها على النحو التالي:

- **مواجهة محسوبة:** عكست المواجهات المُتبادلة بين طهران وتل أبيب رغبة الجانبين في عدم توسع الصراع على الأقل في الوقت الحالي، وهو ما تجلى في عدم إعلان إسرائيل رسميًا تبني الهجوم. مع الأخذ في الاعتبار الروايتين الإيرانية والإسرائيلية، وحجم الغموض في طريقة تنفيذ الرد الإسرائيلي، والاستخفاف الإيراني بالهجمة ذاتها، والالتزام بمبدأ الرد في حال التعرض لهجوم أكبر يضر بالمصالح الإيرانية، إضافة إلى التحذيرات التي أطلقتها قوى دولية وإقليمية مختلفة، ومخاوفها من انفلات الأمور والاندفاع نحو حرب إقليمية موسعة، في الوقت الذي تجري فيها أنشطة متعددة المستويات لاحتواء الوضع المأساوي في قطاع غزة.

وعليه، يمكن الاستنتاج بأن الطرفين يتخليان في الفترة الراهنة عن المواجهة المباشرة التي عبّر عنها الهجوم الإيراني، وتم احتواؤه إسرائيليًا بمشاركة رئيسية من قبل الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، فضلًا عن إسهامات أخرى غير محددة وفقًا للإعلام العبري من قبل الأردن والإمارات والسعودية.

- **رسائل مُتبادلة:** اتفق الحضور على أن الهجمات بين طهران وتل أبيب كانت تحمل العديد من الرسائل السياسية والعسكرية في آن واحد، يتمثل أهمها في: قدرة كل طرف على الوصول إلى المواقع الهامة والمنشآت النووية لدى الطرف الآخر، وهو ما تجلى في الاستهداف الإيراني لموقع مفاعل "ديمونة" الإسرائيلي، بالإضافة إلى الاستهداف الإسرائيلي لموقع مجمع "أصفهان".

- **تأثيرات عكسية:** ساهمت الضربات الإيرانية على إسرائيل في تعزيز شعبية رئيس الوزراء الحالي بنيامين نتنياهو ودعمه للاستمرار في حرب طويلة الأمد يجب أن تكون إسرائيل المنتصر الوحيد فيها، مما يعني أن عملية رفح قد تكون وشيكة. كما نجحت المواجهة الأخيرة أيضًا في استعادة الزخم بين واشنطن وتل أبيب؛ إذ كانت بمثابة عملية تسويق جديدة لـ"نتنياهو" في الداخل الأمريكي بشكل كبير مع إقرار حزمة مساعدات لإسرائيل.

- **عودة مخاطر الوكلاء:** أشار بعض الحضور إلى زيادة خطر وكلاء إيران في توجيه ضربات للمصالح الأمريكية خلال الفترة المُقبلة خاصة بعد الضربة الرمزية التي قامت بها طهران مؤخرًا. ومن المُحتمل أن تشهد المنطقة ضربات مُضادة من قبل وكلاء إيران ردًا على الضربة الرمزية تستهدف المصالح الأمريكية خلال الفترة المقبلة.

في المقابل، سيكون الرد الأمريكي قائمًا على منع تصاعد الصراع وتحوله إلى حرب شاملة. فيما أشار بعض الحضور إلى مخاطر توسع المواجهة بين حزب الله وإسرائيل، والتي من شأنها أن تخلط الأوراق والأزمات القائمة، مما قد يزيد من تعقيدها، ومن ثم ترتفع درجات عدم الاستقرار الإقليمي، والتي قد تجر معها مواجهات أكثر حدة مع وكلاء آخرين لإيران.

- **نتائج عكسية:** أكد بعض الحضور على وجود علاقة عكسية بين الانتخابات الأمريكية والضغط على إسرائيل، فضلًا عن وجود

ممارسات في الداخل الأمريكي تدعم وبشدة عدم نجاح أي مرشح أمريكي لا يقوم بتقديم الدعم لإسرائيل؛ إذ يتم إعادة توجيه المجتمع الأمريكي من جديد إلى وجود خطر يهدد إسرائيل.

- **تغير البيئة الاستراتيجية:** أكد الحضور على وجود مجموعة من التهديدات التي تواجه المنطقة بصفة عامة، وتمس مصالح الدولة المصرية بصفة خاصة، أولها: توسع نطاق المواجهة بين إسرائيل وحزب الله مما قد يدفع إلى انزلاق لبنان لحرب حقيقية، فضلًا عن احتمالية امتداد المواجهة إلى منظمات الحشد الشعبي العراقية كنتيجة مباشرة للتصعيد المستمر. ثانيها: التخلي عن المواجهة المباشرة والعودة إلى حالة المواجهة عبر الوكلاء أو ما يعرف إسرائيليًا بـ"معارك ما بين الحروب". ثالثها: احتمال اندلاع عملية عسكرية برية في رفح. وأخيرًا، التهديد المرتبط بتأثير تسارع إيران لامتلاك قنبلة نووية، وهو ما سيغير البيئة الاستراتيجية.

- **وقف إطلاق النار:** أكد الحضور أن النقطة المركزية لوقف الانزلاق إلى مواجهات غير محسوبة مُحملة بالمخاطر الكبرى، مرهونة بحل عقدة العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، وإنهاء المواجهة مع حركة حماس، عبر وقف إطلاق نار مستدام، تليه جهود ملموسة ومدعومة دوليًا لضبط الأوضاع في قطاع غزة إنسانيًا وسياسيًا وأمنيًا، مع عملية إعمار منسقة غير قابلة للارتداد، وتلك بدورها إشكالية كبرى.

- **الدور المصري:** ما زالت الدولة المصرية تلعب دورًا محوريًا في حلحلة الأزمات التي تمر بها المنطقة في ضوء استمرار الحرب الراهنة في غزة التي تقترب من شهرها السابع، من خلال التعاون متعدد الأطراف فيما يتعلق بالمفاوضات، ونفاد المساعدات، ووقف إطلاق النار تمهيدًا لإحياء عملية السلام في المنطقة.

قضايـــــا نوعيـــــة

- التكلفة الاقتصادية لسيناريو الحرب بين إسرائيل وإيران
- تأثيرات الرأي العام على الصراع الإسرائيلي-الإيراني
- اختبار التكنولوجيا العسكرية في التصعيد بين إسرائيل وإيران

التكلفة الاقتصادية لسيناريو الحرب بين إيران وإسرائيل

مع التصعيد العسكري المتبادل بين إسرائيل وإيران، بدت هنالك مخاوف من نشوب حرب إقليمية مباشرة بينهما، وهو ما سيؤثر ليس فقط على اقتصاد البلدين وإنما أيضًا على اقتصاديات دول منطقة الشرق الأوسط. من هنا، يرصد هذا التقرير الخسائر المختلفة للتصعيد الأخير بين البلدين في ظل طبيعة وأداء المؤشرات الاقتصادية والمالية الكلية الراهنة لاقتصاديهما، فضلًا عن التكلفة المباشرة المتوقعة التي يمكن أن يتحملاها حال حدوث سيناريو الحرب، وكذلك الخسائر غير المباشرة لدول المنطقة

أحمد بيومي
باحث بوحدة الاقتصاد ودراسات الطاقة
المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

خسائر التصعيد

في الأول من أبريل 2024، نفذت إسرائيل غارة جوية استهدفت المبنى الملحق بالقنصلية الإيرانية في دمشق، وقُتل فيها العميد محمد رضا زاهدي، وهو قائد كبير في فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني. استخدمت إسرائيل في هذا الهجوم طائرات F35 المقاتلة متعددة المهام، والتي تم تطويرها بواسطة شركة "لوكهيد مارتن" بالولايات المتحدة، ويتم إنتاجها بثلاث فئات رئيسية أقلها الفئة A، التي تبلغ كلفتها 78 مليون دولار أمريكي، وأعلاها الفئة B، التي تبلغ تكلفتها 101.3 مليون دولار أمريكي، وفقًا لتقارير غربية.

ردًا على ذلك، وجهت إيران ضربة هجومية مباشرة إلى إسرائيل شملت 170 طائرة مسيرة، و30 صاروخ كروز لم يدخل أي منها الأراضي الإسرائيلية، و110 صواريخ باليستية وصل عدد صغير منها إلى إسرائيل. وبرغم عدم تحديد أنواع الطائرات المسيرة الإيرانية المستخدمة في الضربة، إلا أنه بالنظر إلى قدرات إيران في مجال المسيرات، فإنها تنتج طائرة "شاهد - 136" الملقبة بـ"الكاميكازي"، التي تبلغ كلفة إنتاجها حوالي 50 ألف دولار، وتستخدم لأغراض المراقبة والاستطلاع والهجوم، وطائرة "مهاجر 6" التي تستخدم في المراقبة والاستطلاع وتحمل كاميرات حرارية وبصرية. كما تنتج إيران صواريخ باليستية، أبرزها صاروخ "شهاب-3" الذي يبلغ مداه 500 كم وصاروخ "سيسيل" الذي يبلغ مداه 2000 كم، ولا توجد معلومات عن تكلفة إنتاج تلك الصواريخ نظرًا لعدم إفصاح طهران عن أي معلومات في هذا المجال.

لكن بافتراض أن الصواريخ المستخدمة ليست متقدمة تكنولوجيًا، وذات مديات بحوالي 2500 كم، فإن كلفة الصاروخ ستكون تقريبًا مماثلة لصاروخ "مينوتمان 3" الأمريكي، أي حوالي 5 ملايين دولار. وعليه، فإن الضربة الايرانية لإسرائيل تُقدر كلفتها بحوالي 550 مليون دولار (8.5 ملايين دولار تكلفة المسيرات + 550 مليون دولار تكلفة إطلاق 110 صاروخ باليستي). من ناحية إسرائيل، لا توجد معلومات كافية عن عدد الطلعات الجوية التي قامت بها ضد إيران أو نوع التسليح وعدد الصواريخ التي تم إطلاقها، ومن ثم يصعب تقدير كلفتها الاقتصادية.

إسرائيل واقتصاد حرب

تعيش إسرائيل ظروفًا اقتصادية معقدة، حيث انكمش الاقتصاد الإسرائيلي بنسبة 21%، على أساس سنوي في الربع الرابع لعام 2023. جاء ذلك نتاجًا للحرب على غزة التي أثرت على النمو الاقتصادي في البلاد، إذ ارتفع معدل التضخم إلى 2.7% في مارس 2024، مقارنة بـ2.5% في فبراير من العام نفسه. وبسبب الحرب قَفَزَ الإنفاق الحكومي 83.7% في الربع الأخير نتيجة للتوسع في الإنفاق الاستراتيجي لتعزيز منظومة الأمن والدفاع.

استهدفت إسرائيل في ميزانيتها لعام 2024 التركيز بشكل أولي على الحرب، ثم على تحقيق النمو الاقتصادي، وصوّت أعضاء مجلس الوزراء الإسرائيلي على هذه الميزانية بزيادة قدرها 15 مليار دولار للإنفاق على الحرب. وتُشير التقديرات إلى وجود خطط لتعديل ميزانية العام الجاري لتزيد بحوالي 9 مليارات دولار، كي يتم استخدامها لغرض الإنفاق على الأعمال العسكرية، ويتمّ تمويلها من جانب الديون التي تم جمعها بالفعل منذ بداية الحرب بحوالي 7.8 مليارات دولار أمريكي من خلال إصدار إسرائيل سندات في الأسواق الدولية.

ووفقًا للتقديرات، تتكبد إسرائيل تكاليف باهظة أسبوعيًا بسبب حرب غزة تصل إلى حوالي 600 مليون دولار. وتدفع تلك التكاليف نسبة العجز في ميزانية إسرائيل لعام 2024 ليصل إلى 6.6% من الناتج المحلي الإجمالي، كما تخفض من احتمالات نمو الاقتصاد إلى 1.6%.

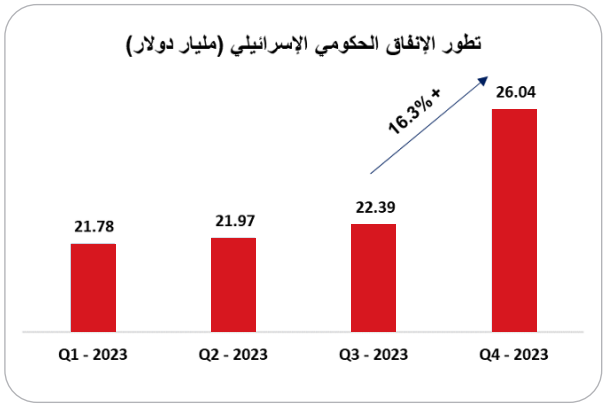

اقتصاد إيران

بلغ إجمالي الناتج المحلي الإجمالي لإيران في عام 2023، حوالي 417 مليار دولار أمريكي. ويُعتبر قطاع الخدمات هو الأكبر في الاقتصاد الإيراني، حيث يمثل حوالي 51% من إجمالي الناتج المحلي الإجمالي (يشمل قطاع الخدمات: القطاع العقاري، الخدمات المتخصصة والمهنية، التجارة والمطاعم والفنادق، الخدمات العامة).

جديـر بالذكـر أن الناتـج المحلـي الإجمالـي الإيرانـي أخـذ مسـارًا هابطًـا، وحقـق نمـوًا بالسـالب في الفتـرة مـن 2017 وحتـى 2020 لينخفـض مـن 486 مليـار دولار عـام 2017 إلـى 239.7 مليـار دولار عـام 2020، ثـم عـاد للصعـود فـي السـنوات مـن العـام 2021 وحتـى 2023 ليبلـغ إجمالـي الناتـج المحلـي الإجمالـي حوالـي 417.4 مليـار دولار.

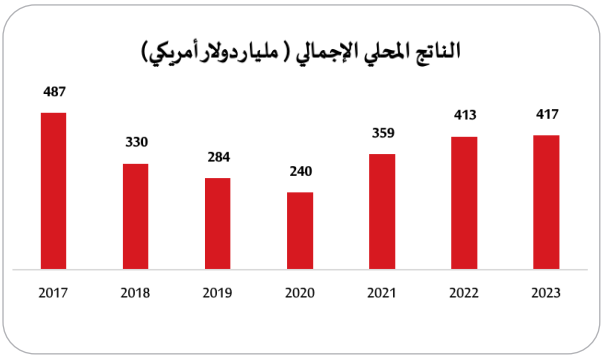

تبلـغ نسـبة الديـن إلـى الناتـج المحلـي الإجمالـي فـي إيـران حوالـي 30.6%، مـا يعنـي أن هنـاك ديونًـا بحوالـي 149 مليـار دولار، منهـا حوالـي 10 مليـارات ديـن خارجـي، بينمـا بقيـة الديـون محليـة. أمـا معـدل العجـز العـام، فبلـغ 5.5% فـي عـام 2023، مرتفعًـا بعجـز بحوالـي 1.6% عـام 2018. كمـا يبلـغ احتياطـي النقـد الأجنبـي حوالـي 127.1 مليـار دولار. وتنتـج إيـران حوالـي 3.4 ملاييـن برميـل نفـط يوميًـا، فيمـا تسـتهلك حوالـي 1.9 مليـون برميـل يوميًـا، بينمـا تُصدر حوالـي 1.5 مليـون برميـل يوميًـا. وتُمثّـل إيـرادات النفـط حوالـي 90% مـن إجمالـي الإيـرادات بالموازنـة العامـة للدولـة، ممـا يعنـي أنّ تغيـر سـعر النفـط لـه تأثيـر جوهـري علـى الإيـرادات الحكوميـة.

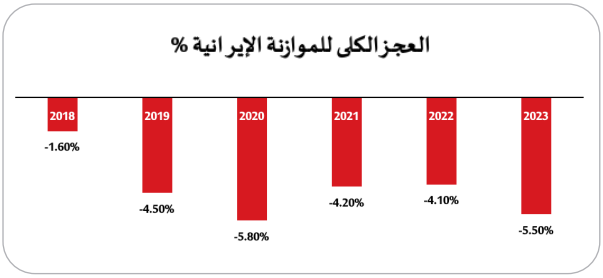

تُنفـق إسـرائيل علـى تسـليحها العسـكري أكثـر مـن ضعفـي (2.45 مـرة) إنفـاق إيـران، حيـث يصـل الإنفـاق العسـكري الإسـرائيلي إلـى 24.4 مليـار دولار مقارنـة بـ9.9 مليـارات دولار تنفقهـا إيـران. مـع ذلـك، تتميـز إيـران عـن إسـرائيل بعـدة عوامـل تضعهـا فـي مرتبـه عسـكرية أعلـى مـن إسـرائيل عالميًـا، مثـل: عـدد أفـراد الجيـش، خاصـة فـي ظـل تعـداد سـكان إيـران البالـغ 87.5 مليـون نسـمة مقابـل 9 ملاييـن نسـمة لإسـرائيل، ممـا يعنـي أن الأفـراد المؤهليـن للانضمـام للجيـش الإيرانـي قرابـة 41 مليـون فـرد مقابـل 3.1 ملاييـن لإسـرائيل. ويصـل إلـى سـن التجنيـد سـنويًا 1.4 مليـون فـرد فـي إيـران مقابـل 126.6 ألـف فـرد فـي إسـرائيل.

تكلفة سيناريو الحرب

للوصـول إلـى تقديـر كلفـة نشـوب حـرب محتملـة بيـن إيـران وإسـرائيل، يمكـن القيـاس علـى حـرب إيـران مـع العـراق، والتـي دامـت لمـدة ثمانـي سـنوات، وخلفـت نحـو مليـون قتيـل، وتكلفـت حوالـي 400 مليـار دولار أمريكـي وفقًـا لتقديـرات غربيـة. وفـي حـال الأخـذ فـي الاعتبـار معـدلات التضخـم المُركبـة فـي الولايـات المتحـدة الأمريكيـة فـي الفتـرة بيـن 1980 وحتـى 2024، والتـي بلغـت أكثـر مـن الضعفيـن (2.7 مـرة)، فـإن القيمـة الحاليـة لتلـك التكلفـة حوالـي 1.08 تريليـون دولار أمريكـي.

وبالتالـي فـإن كلفـة الحـرب لعـام واحـد سـتبلغ حوالـي 135 مليـار دولار أمريكـي، أي حوالـي 67 مليـار دولار مـن كل جانـب (إيـران واسـرائيل) حـال كانـت الخسـائر متعادلـة، وهـو مـا يعنـي أن الديـن العـام لـكلا البلديـن سـيرتفع بحوالـي 67 مليـار دولار، فـي ضـوء أن موازنـات البلديـن فـي حالـة عجـز بالفعـل، كمـا سـتنخفض المصروفـات العامـة الموجهـة إلـى بنـود التعليـم والصحـة والاسـتثمارات العامـة لصالـح الإنفـاق الدفاعـي، كمـا سـيرتفع التضخـم ومعـدلات البطالـة بشـكل كبيـر، وهـو مـا يعنـي أن البلديـن سـيحتاجان إلـى وقـت طويـل للعـودة مـرة أخـرى إلـى مرحلـة مـا قبـل الحـرب. بالطبـع سـتدعم الولايـات المتحـدة والاتّحـاد الأوروبـي إسـرائيل بشـكل كبيـر فـي أي سـيناريو للحـرب، كمـا قـد تدعـم روسـيا والصيـن إيـران، وإن كان بقـدر أقـل ممـا قـد تفعـل الـدول الغربيـة مـع إسـرائيل.

وبـخلاف التكاليـف المباشـرة لسـيناريو الحـرب بيـن إسـرائيل وإيـران، فـإن هنـاك خسـائر غيـر مباشـرة كبيـرة يصعـب قياسـها، مثـل الآثـار السـلبية لارتفـاع أسـعار النفـط والطاقـة إثـر نشـوب الحـرب وتأثيرهـا علـى معـدلات النمـو فـي الاقتصـادات العالميـة. فـأي احتمـال لنشـوب الحـرب يعنـي وقـف الإبحـار تمامًـا بمنطقتـي الخليـج العربـي والبحـر الأحمـر نتيجـة لانضمـام الحوثييـن إلـى صـف إيـران. كمـا سـتتباطأ فـي ظـل سـيناريو الحـرب الاسـتثماراتُ بمنطقـة الشـرق الأوسـط، خاصـة الأردن والسـعودية ومصـر، ولا سـيما مـع وقـف حركـة التجـارة بمنطقـة البحـر الأحمـر ومنطقـة الخليـج العربـي، وهـو مـا يقـود إلـى ارتفـاع معـدلات البطالـة المترتبـة علـى انخفـاض معـدلات الاسـتثمار. وتدفـع تلـك التكلفـة الاقتصاديـة المرتفعـة لسـيناريو الحـرب بيـن إسـرائيل وإيـران إلـى سـعي القـوى الكبـرى والإقليميـة إلـى الحيلولـة دون وقوعهـا.

تأثيرات الرأي العام على الصراع الإسرائيلي-الإيراني

تاريخيًا، تُعد إيران من أوائل الدول التي اعترفت بإسرائيل بعد الإعلان عن تأسيسها عام 1948، إلا أن الصراع بين الدولتين برز بعد الثورة الإسلامية في إيران عام 1979، والتي دعت إلى الوقوف في مواجهة القوى العالمية وحلفائها الإقليميين. منذ ذلك الحين، أخذ الصراع بين الدولتين مراحل متعددة تضمنت حروبًا للظل وهجمات سرية وسيبرانية واغتيالات سياسية وحروبًا بالوكالة؛ إلا أن التصعيد الأخير بينهما خلال شهر أبريل 2024، عكس مرحلة جديدة فارقة، خاصة أنه تضمن هجمات متبادلة مباشرة. فأي تأثير للرأي العام في البلدين على هذا التصعيد؟

د. نهى بكر
عضو الهيئة الاستشارية
المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

مخاوف أمنية إسرائيلية

تتشكل نظرة الرأي العام الإسرائيلي تجاه إيران من مزيج من الاعتبارات الأمنية، والسياق التاريخي، وتصورات التهديد. وتسهم تلك العوامل في تكوين نظرة متنوعة وحذرة بين الإسرائيليين تجاه إيران، **وهو ما يمكن توضيحه في النقاط الآتية:**

- **ينظر العديد من الإسرائيليين إلى إيران،** باعتبارها تهديدًا أمنيًا كبيرًا بسبب دعمها لوكلاء مسلحين، مثل حزب الله، وحماس، وجماعة الحوثيين، وأعمالها المزعزعة للاستقرار في الشرق الأوسط، فضلًا عن خطابها العدائي تجاه إسرائيل. ناهيك عن شكوك الداخل الإسرائيلي في برنامجها النووي الذي لا يتمثل فقط في تخصيب اليورانيوم والوصول لقنبلة نووية، لكن لقدرة إيران أيضًا على إنتاج صواريخ طويلة المدى حاملة لرؤوس نووية. وتفاقمت هذه المخاوف الأمنية أكثر بعد حرب غزة في أكتوبر 2023 في ظل الدعم الإيراني لحركة حماس.

- **أدى السياق التاريخي لموقف إيران المناهض لإسرائيل،** بما في ذلك إنكار القادة الإيرانيين للهولوكوست، والدعوة إلى تدمير إسرائيل، إلى تغذية عدم الثقة والعداء بين الإسرائيليين تجاه إيران، إضافة إلى الدعم التاريخي الإيراني للجماعات الفلسطينية المسلحة، والدعاية المناهضة لإسرائيل، مما ترك أثرًا على تصورات الإسرائيليين عن إيران.

- **هناك آراء متنوعة داخل المجتمع الإسرائيلي فيما يتعلق بالنهج الأفضل للتعامل مع إيران،** بدءًا من المشاركة الدبلوماسية حتى العمل العسكري. فبينما يتبنى الاتجاه الغالب في الداخل الإسرائيلي موقفًا أكثر عدوانية تجاه إيران، فإن هنالك اتجاهًا آخر يفضل الحذر واليقظة بشأن نوايا إيران تجاه إسرائيل، بينما تفضل الأقلية الحلول الدبلوماسية.

- **يعكس الرأي العام الإسرائيلي توجهات السياسة الخارجية،** حيث يؤثر في صنع القرارات الحكومية المتعلقة بإيران، لا سيما أن الإسرائيليين يقدرون الأمن القومي بشكل كبير. وبشكل عام، يميل الرأي العام الإسرائيلي إلى تعزيز سياسة الحكومة لتعزيز التوترات مع إيران، نظرًا للتهديدات الأمنية التي يشعر بها جراء سياسات طهران المعادية، مما يساهم في دعم استراتيجيات لاتخاذ إجراءات عدائية أو استباقية ضد طهران لمكافحة أشد ضراوة وفاعلية.

- **تلعب وسائل الإعلام الإسرائيلية دورًا حاسمًا في توجيه وتشكيل آراء الجمهور حيال إيران،** حيث تزيد تلك الوسائل من التوترات والانقسامات بين الطبقات المختلفة من المجتمع الإسرائيلي بشأن سياسات الصراع مع إيران. وإجمالًا، فإن الرأي العام في إسرائيل يُعد عاملًا مؤثرًا بشكل كبير على ديناميكية الصراع مع إيران وعلى القرارات والسياسات التي تتبعها الحكومة في هذا الصدد.

تصورات إيرانية سلبية

يتشكل الرأي العام الإيراني تجاه الصراع الإسرائيلي الإيراني من عوامل متنوعة، مثل: المظالم التاريخية، والمعتقدات الدينية، والاعتبارات الجيوسياسية، والدعاية الحكومية. **ويمكن توضيح ذلك في النقاط الآتية:**

- **يتأثر الرأي العام الإيراني تجاه إسرائيل بالأحداث التاريخية،** بما في ذلك قيام دولة إسرائيل عام 1948، والصراعات اللاحقة مع الدول العربية والفلسطينيين. وينظر العديد من الإيرانيين إلى إسرائيل على أنها قوة احتلال تضطهد الشعب الفلسطيني، ومن ثم يرى الإيرانيون أهمية دعم القضية الفلسطينية ضد إسرائيل.

- **غالبًا ما تضع الحكومة الإيرانية الصراع مع إسرائيل في إطار ديني،** حيث يتم تصوير إسرائيل ككيان غير شرعي في منطقة الشرق الأوسط ذات الأغلبية المسلمة. لذلك، فالمعتقدات الدينية، خاصة بين السكان المسلمين الشيعة في إيران، تشكل التصورات عن إسرائيل كخصم، وهو ما يؤثر على المشاعر العامة تجاه الصراع الإسرائيلي-الإيراني.

- **تؤثر طموحات إيران الجيوسياسية في المنطقة،** ودعمها لجماعات معادية لإسرائيل، على الرأي العام الإيراني تجاه إسرائيل، حيث تلعب مشاعر الكبرياء والهوية القومية الإيرانية دورًا في تشكيل المواقف العامة تجاه إسرائيل، حيث ينظر العديد من الإيرانيين إلى بلادهم باعتبارها قوة إقليمية تقف في وجه الإمبريالية الغربية والإسرائيلية.

- **تسيطر الحكومة الإيرانية على جزء كبير من وسائل الإعلام والخطاب العام في البلاد،** وبالتالي تلعب دورًا في تشكيل الرأي العام تجاه إسرائيل من خلاله، حيث يتم الترويج للخطاب المناهض لإسرائيل والصهيونية عادة من قبل المسئولين الإيرانيين ووسائل الإعلام الحكومية، مما يؤثر على المشاعر العامة ويعزز التصورات السلبية عن إسرائيل بين السكان الإيرانيين.

- **يلعب الرأي العام في إيران دورًا مهمًا في تشكيل سياسات الحكومة وسلوك الدولة تجاه إسرائيل،** مما يزيد التوترات بين إيران وإسرائيل، كما يؤثر أيضًا على الشراكات والتحالفات الإقليمية الإيرانية التي تدعم سياسات معادية لإسرائيل، على غرار ارتباطات الوكالة مع حزب الله في لبنان.

إجمـــالًا، يتأثر الرأي العام الإيراني تجاه الصراع مع إسرائيل بالمظالم التاريخية، والمعتقدات الدينية، والاعتبارات الجيوسياسية، والدعاية الحكومية. وتتضافر هذه العوامل لتخلق نظرة سلبية ومعادية بشكل عام لإسرائيل بين العديد من الإيرانيين، مع مشاعر مدفوعة بمزيج من العوامل الثقافية والسياسية والدينية.

ختامًـــا، ثمة اتفاق لدى الرأي العام في إسرائيل وإيران على دعم قياداته في الصراع الدائر بين الدولتين، وهو ما يتم توظيفه في دعم المرشحين الأكثر تشددًا في انتخابات البلدين، مما يجعل فرص الوصول إلى حلول دبلوماسية شبه منعدمة على المديين القصير والمتوسط، ويؤجج الصراع في المنطقة والعالم.

اختبار التكنولوجيا العسكرية في التصعيد الإسرائيلي-الإيراني

استهدفت إسرائيل مبنى القنصلية الإيرانية في دمشق، باستخدام 6 صواريخ أطلقتها مقاتلات إف35-، مما أسفر عن مقتل العميد محمد رضا زاهدي أحد قادة الحرس الثوري الإيراني الذي لعب دورًا في تسليح حزب الله اللبناني، وكذلك مقتل نائب زاهدي، ومعهما 5 عناصر آخرين. وعلى الرغم من تكرار قصف إسرائيل لعدة أهداف إيرانية في سوريا، فإن ذلك الهجوم كان أقرب ما يكون إلى اعتداء مزدوج على الأراضي السورية والإيرانية، وانتهاك واضح للسيادة الإيرانية. وعلى إثر ذلك، شهد الصراع بين الدولتين تحولًا لافتًا بعد أن تعرضت تل أبيب للمرة الأولى في تاريخها لهجمات إيرانية مباشرة اختبرت في جانب منها درجة وطبيعة ومدى تقدم التكنولوجيا العسكرية الإيرانية.

د. رغدة البهي
رئيس وحدة الأمن السيبراني
المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

ضربات إيران

تبعًا لوكالة "أسوشيتد برس"، أطلقت إيران على إسرائيل 170 طائرة بدون طيار وأكثر من 30 صاروخ كروز وأكثر من 120 صاروخًا باليستيًا، وتجاوزت عمليات الإطلاق 300 عملية، وإن تمكنت إسرائيل من اعتراض 99% منها. في السياق ذاته، أكد وزير الدفاع الأمريكي لويد أوستن أن قواته اعترضت عشرات الصواريخ والطائرات بدون طيار في طريقها إلى إسرائيل بعد أن انطلقت من إيران والعراق وسوريا واليمن.

فيما قال الرئيس جو بايدن إن الجيش الأمريكي -دفاعًا عن إسرائيل- نقل طائرات ومُدمرات للدفاع الصاروخي الباليستي إلى المنطقة، لتسهم عمليات الانتشار تلك في إسقاط جميع الطائرات بدون طيار والصواريخ الإيرانية "تقريبًا"، وهي النتيجة التي وصفها الناطق باسم الجيش الإسرائيلي دانييل هاجاري بأنها "نجاح استراتيجي كبير للغاية". كما قال وزير الدفاع الإسرائيلي يوآف جالانت إن أربعة صواريخ باليستية فقط هي التي نجحت في اختراق الدفاعات، ولم تتمكن أي من صواريخ كروز أو الطائرات بدون طيار من القيام بذلك.

وأصاب أحد الصواريخ الباليستية الإيرانية -بعد أن تمكن من اجتياز الصواريخ الاعتراضية- قاعدة جوية إسرائيلية في صحراء النقب، كما انتشل الجيش الإسرائيلي بقايا أحد الصواريخ الباليستية الإيرانية التي سقطت في البحر الميت والتي بلغ طولها 11 مترا (36 قدمًا) بعد استهداف قاعدة جولس العسكرية. وأكد هاجاري، بجانب اعتراض الطائرات الحربية لعشرة صواريخ كروز، انتشال خزان الوقود الخاص بالصاروخ الذي تم اعتراضه؛ حيث تم تدمير الرأس الحربي والمحرك بواسطة نظام الدفاع الجوي بعيد المدى "أرو". ووفقًا للجيش الإسرائيلي، فإن الحطام الذي تم انتشاله يمثل 70% من طول المقذوف الأصلي. وعمومًا، تتبع الصواريخ الباليستية مسارًا منحنيًا مستفيدة من الجاذبية لتحقيق سرعات قصوى. ويُقدّر الجيش الإسرائيلي أن الصاروخ سافر أكثر من 1500 كم من إيران إلى إسرائيل في حوالي 12 دقيقة، ووصل إلى سرعة بلغت 7500 كم في الساعة.

من جانبها، أكدت إيران إطلاق ثلاث موجات متتابعة من الطائرات الإيرانية المُسيَّرة والصواريخ الجوالة التي تراوحت بين 200-400 مُسيَّرة وصاروخ جوال، والتي رُصدت تباعًا في أجواء عراقية عدة، انطلاقًا من بعض المناطق الإيرانية، وبخاصة كرمنشاه ودوكوهه، والتي تبعها مجموعتان من الصواريخ الباليستية، تُقدّر كل واحدة منها بنحو 80-70 صاروخًا باليستيًا متوسط المدى، تم إطلاقها من مواقع شمال وشمال غرب إيران. في حين نفذ "حزب الله" عمليات صاروخية محدودة، استهدفت مقر الدفاع الجوي في موقع "كيلع" العسكري في الجولان السوري بالصواريخ، ومناطق أخرى في الجليل الأعلى.

واعتمدت إيران بالأساس على مُسيَّرتها "مهاجر 10"، وهي مُسيَّرة استطلاعية مُجهّزة بكاميرا ومعدات مراقبة، وهي قادرة على حمل ذخائر وقنابل تبقى في الجو لمدة أربع وعشرين ساعة. كما استخدمت إيران أيضًا مُسيَّرتها "شاهد 136" التي ذاع صيتها بعد أن استخدمتها روسيا في هجماتها على البنى التحتية الأوكرانية. ووفقًا لوسائل الإعلام التابعة للحرس الثوري الإيراني، فإن الصواريخ المستخدمة في الهجوم على إسرائيل شملت صواريخ باليستية (مثل: "خرمشهر"، و"سجيل"، و"غدر"، و"عماد")، إلى جانب صواريخ "كروز" (مثل "بافيه" الذي تفوق سرعته سرعة الصوت).

ووفقًا لصحيفة "واشنطن بوست"، فقد أظهر الهجوم الإيراني على إسرائيل القوة العسكرية للبلاد ومدى التقدم الذي أحرزته إيران على صعيد إنتاج أسلحتها محليًا، بل وحدود ترسانتها؛ فهو هجوم متعدد الطبقات من ناحية، وأكبر استعراض تقليدي للقوة الإيرانية على الإطلاق من ناحية أخرى، وإن تسبب في أضرار محدودة بلغت حدها الأدنى، وهو ما أرجعته الصحيفة جزئيًا إلى الطبيعة المخططة للهجوم، ما منح إسرائيل والولايات المتحدة الوقت الكافي لإعداد أنظمة الدفاع الجوي. في الوقت نفسه، عللت بعض التحليلات محدودية الخسائر تلك بتعدد أوجه القصور في قدرات إيران المتوسطة وطويلة المدى.

بشكل عام، يظهر الهجوم أن طهران استخدمت بعضًا من كل الأنظمة الموجودة لديها، وأن استبعاد صواريخ "سجيل - 1" و"شهاب- 3" من الهجوم كان منطقيًا، بالنظر إلى قدم الثاني ومحدودية استخدام الأول في المناورات العسكرية، بل وارتفاع تكلفة إنتاجه. كما تقدم كمية الذخائر المستخدمة رؤى جديدة

حول قدرات إيران العسكرية؛ فمن المرجح أنها تمتلك بالفعل حوالي 3000 صاروخ باليستي في مخزونها الاستراتيجي، وما لا يقل عن 100 منصة إطلاق دون قيود فعلية على عملية الإنتاج المحلي للصواريخ ومنصات الإطلاق.

يعني ذلك أن ترسانة الصواريخ الباليستية الإيرانية هي واحدة من أكبر الترسانات محلية الصنع على مستوى الشرق الأوسط من ناحية، وأن إيران أظهرت قدرتها على تحديث بعض الأنظمة وتحسين مداها ودقتها من ناحية ثانية. ويتصل بذلك تصريحات المتحدث باسم القوات المسلحة الإيرانية أبو الفضل شكارجي التي أكد فيها أن الذخائر المستخدمة في الضربات ضد إسرائيل لا تمثل سوى جزء صغير من القوة العسكرية للبلاد.

ضربات إسرائيل

ردًّا على ضربات إيران، اخترقت إسرائيل ودمرت الدفاع الجوي للموقع النووي الإيراني بين أصفهان ونطنز، واستهدفت النظام الدفاعي للمنشآت النووية، وهو ما برزت خطورته لأن أصفهان تعد مركزًا عسكريًا مهمًا لإيران، كونها تضم: منشأة نطنز النووية المتخصصة في تخصيب اليورانيوم، ومركز أصفهان لمعالجة اليورانيوم، وشركة صناعة الطائرات الإيرانية (التي أنتجت مُسيَّرات "شاهد 129"، و"شاهد 136"، و"أبابيل"، ومقاتلات "كوثر"، و"صاعقة")، فضلًا عن قاعدة جوية عسكرية تُعرف باسم قاعدة "شيكاري" الجوية.

وفعّلت إيران الدفاعات الجوية المضادة في أرجاء عدة، وأسقطت 3 مُسيَّرات صغيرة تعرف باسم "الطائرات الانتحارية" التي لا تقطع عادة مسافات طويلة. وتم التصدي للهجوم بمضادات أرضية على ارتفاعات منخفضة جدًا، لا سيما أن الهجوم حدث دون استخدام الصواريخ، ودون أن تسفر المُسيَّرات المُستخدمة عن أضرار بالمواقع النووية الإيرانية في أصفهان، وفقًا لما أعلنته الوكالة الدولية للطاقة الذرية. كما تصدت الدفاعات الإيرانية لأجسام مشبوهة في مدينة تبريز التي أكدت إيران أنها لم تشهد حدوث أي انفجارات أو خرق أمني.

لاحقًا، اعتبرت إيران أن الهجوم لا يعدو كونه "حدثًا أمنيًا" لم ينجم عن اعتداء/هجوم خارجي، دون أن تقدم معلومات دقيقة عن أماكن انطلاق المُسيَّرات. وأوضحت بعض التحليلات أن المُسيَّرات أقلعت بالفعل من داخل إيران، ما يدلل إما على وجود اختراق إسرائيلي لإيران، وإما على وجود أطراف داخلية لديها خلافات حادة مع النظام الإيراني الحالي. وتأسيسًا على حقيقة مفادها أن إيران لم تتعرض لأي هجوم صاروخي خارجي، أعلن وزير الخارجية الإيراني حسين أمير عبد اللهيان عن نهاية النزاع بين إيران وإسرائيل، لا سيما أن الرد الإسرائيلي "غير المعلن" أوضح انعدام رغبة إسرائيل في التصعيد، لأنه أخذ شكل الضربة التكتيكية المحدودة والرادعة في الآن نفسه دون الرغبة في الانخراط في حرب مفتوحة أو التغيير الشامل لقواعد اللعبة.

وفقًا لبعض التحليلات، فإن إسرائيل تمكنت من إظهار تفوقها العسكري على إيران بعد أن تمكنت من استهداف أهداف عسكرية ونووية دون أن تمثل الدفاعات الإيرانية تحديًا كبيرًا لها. فيما تؤكد تحليلات أخرى، ومنها هيئة الإذاعة البريطانية، أن التفوق العسكري الإسرائيلي يمكن الاستدلال عليه من طبيعة السلاح الذي استخدمته إسرائيل، وتحديدًا من صور الحطام المنشورة لبقايا صاروخ "بلو سبارو" إسرائيلي الصنع ذي المرحلتين على بعد 60 كم جنوب غرب العاصمة بغداد، والذي يُحتمل إطلاقه من الجو. وعليه، دفع جاستن كرامب (الضابط السابق بالجيش البريطاني ومدير شركة سيبيلين لاستخبارات المخاطر) بأن الحطام الذي ظهر في الصور ربما كان من معزز الصاروخ الذي انفصل رأسه الحربي. وعلى الرغم من صعوبة التحقق من هذا الدفع، فمن المعروف أن إسرائيل طورت هذا النوع من الأسلحة، بل واستخدمته سلفًا في سوريا.

ختامًـــا، يمثل التصعيد العسكري الإسرائيلي-الإيراني مرحلة جديدة، تُسطر على خلفيتها قواعد اشتباك جديدة بين الجانبين. فعلى الرغم من العداء المحتدم بين الدولتين منذ عقود، شنت إيران لأول مرة هجومًا عسكريًا مباشرًا على إسرائيل، وتحولت الأراضي الإيرانية بالتبعية إلى ساحة للتصعيد العسكري، وهو ما يشير إلى خروج العداء المحتدم بينهما من دائرة الظل إلى دائرة العلن، ومن دائرة توظيف/استهداف الوكلاء إلى دائرة الاستهداف المباشر؛ اعتمادًا على قدرات عسكرية متقدمة عمادها المُسيّرات والصواريخ وتدابير الدفاع الجوي.

أبرز مؤشرات القوة الشاملة وإيران

اندلعت سلسلة من الهجمات المتبادلة بين إسرائيل وإيران، وهما خصمان إقليميين لم يصلا في السابق إلى حد المواجهة المباشرة؛ إلا أن حرب السابع من أكتوبر جعلتهما أقرب للمواجهة، وسط مخاوف من اتساع رقعة الصراع، وانزلاق المنطقة في حرب إقليمية لا تُحمد عقباها. وما بين الضربات المتبادلة بين الطرفين، تبارى الطرفان في إثبات تفوقهما العسكري ونجاح ودقة ضرباتهما. وفيما يلي نلقي الضوء على أبرز مؤشرات القوة الشاملة للبلدين.

هبة زين
باحث أول بوحدة المرصد المصري
بالمركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

قدرات القوات الجوية للجيشين الإسرائيلي والإيراني، حسب مؤشر القوة العسكرية العالمي 2024

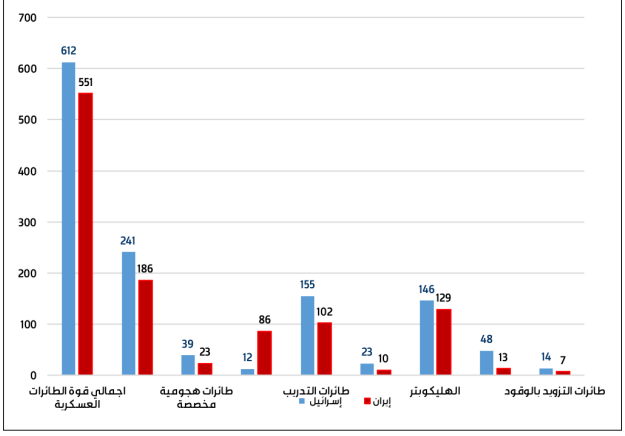

قدرات القوات البرية للجيشين الإسرائيلي والإيراني، حسب مؤشر القوة العسكرية العالمي 2024

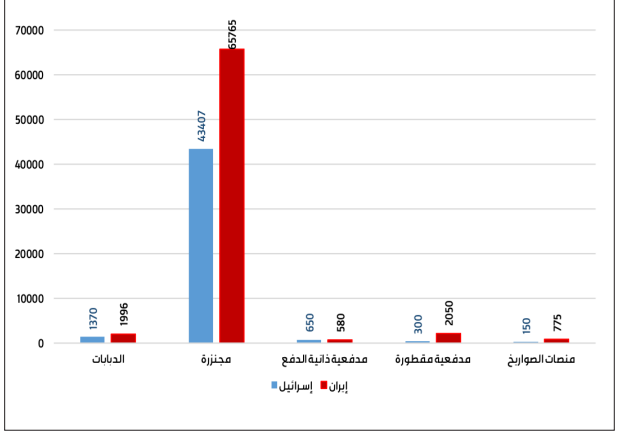

قدرات القوات البحرية للجيشين الإسرائيلي والإيراني، حسب مؤشر القوة العسكرية العالمي 2024

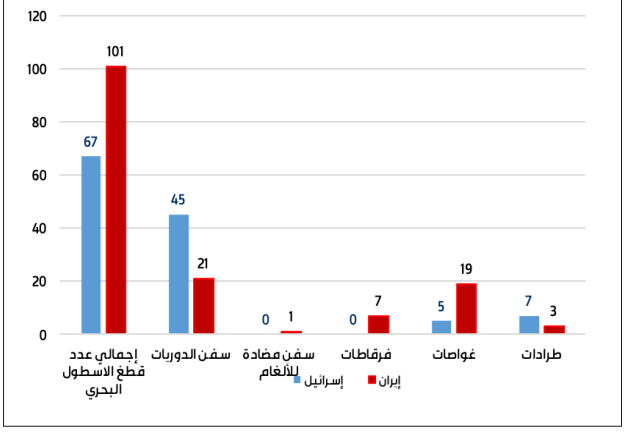

القوة البشرية للجيشين الإسرائيلي والإيراني، حسب مؤشر القوة العسكرية العالمي 2024 (الأعداد بالألف)

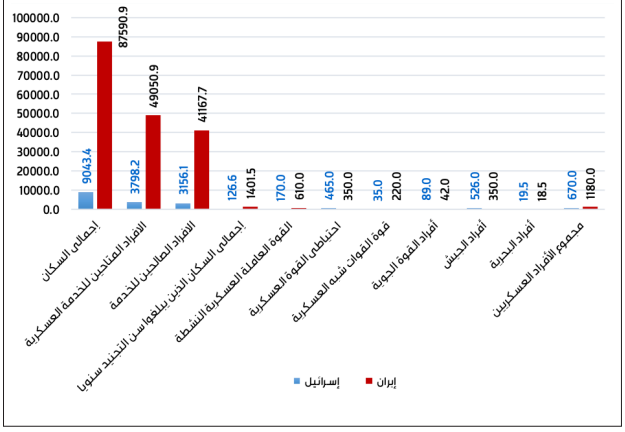

الموارد الطبيعية للجيشين الإسرائيلي والإيراني، حسب مؤشر القوة العسكرية العالمي 2024

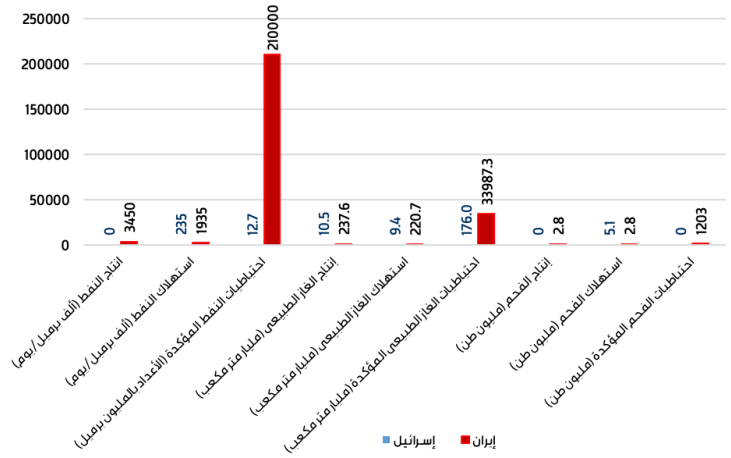

الدعم اللوجيستي للجيشين الإسرائيلي والإيراني، حسب مؤشر القوة العسكرية العالمي 2024

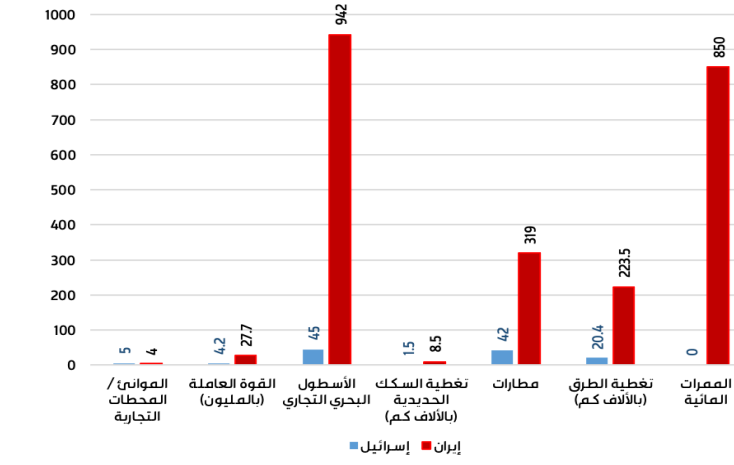

بعض الإحصائيات المالية للجيشين الإسرائيلي والإيراني، حسب مؤشر القوة العسكرية العالمي 2024 (بالمليار دولار)

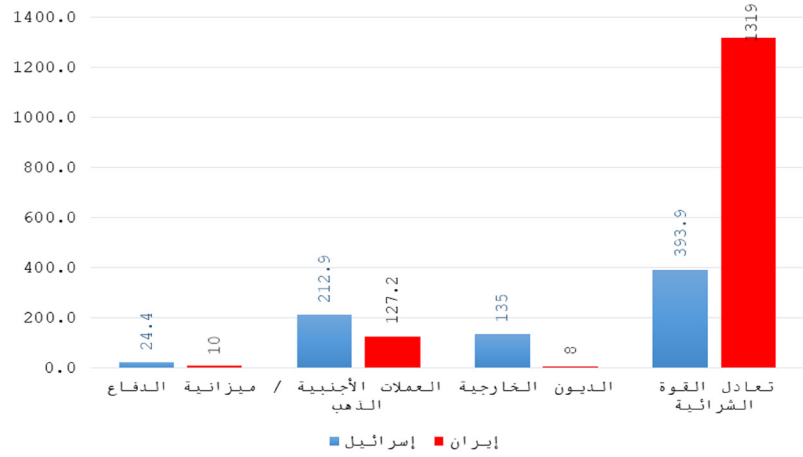

تعادل القوة الشرائية (Purchasing Power Parity): بمثابة عامل تعديل اقتصادي لتلبية أسعار الصرف بين البُلدان فيما يتعلق بتبادل السلع المماثلة.

القدرات الجغرافية للجيشين الإسرائيلي والإيراني بمؤشر القوة العسكرية العالمي 2024

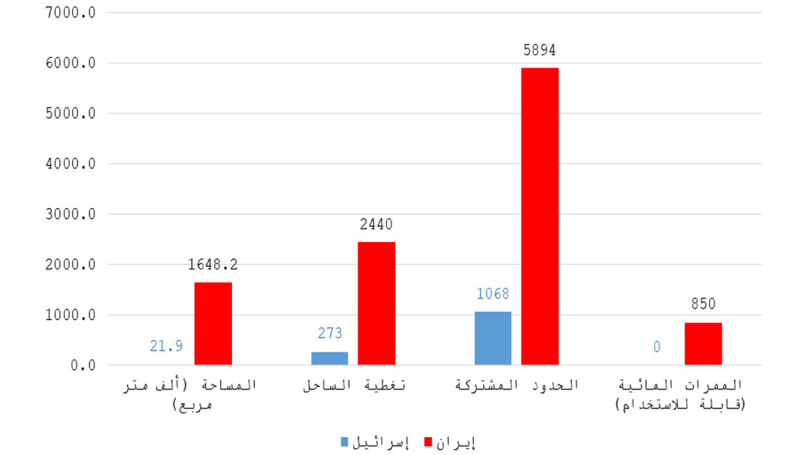

تطور نمو الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي بإسرائيل وإيران وتوقعات صندوق النقد الدولي حتى عام 2029

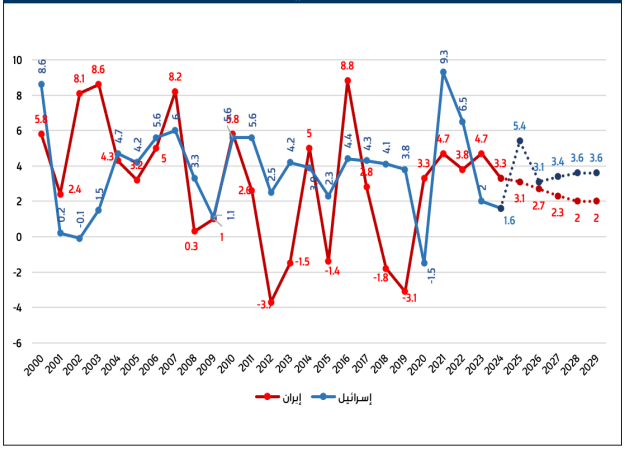

تطور معدل التضخم وفقًا لأسعار المستهلك نهاية الفترة بإسرائيل وإيران وتوقعات صندوق النقد الدولي حتى عام 2029

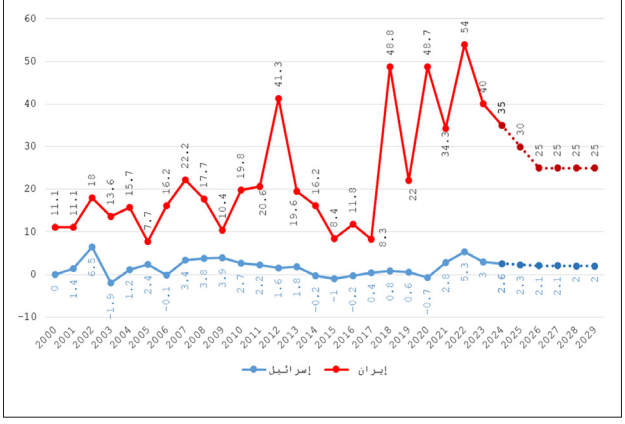

تطور قيمة مؤشر التنمية البشرية بإسرائيل وإيران خلال الفترة (1990 - 2022)

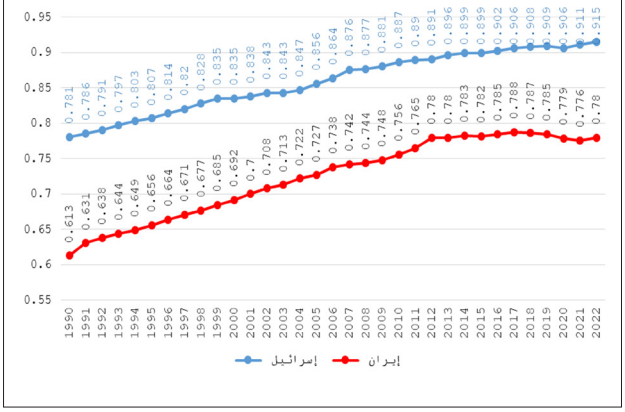

قيمة عدد من المؤشرات الفرعية لمحور الصحة بإسرائيل وإيران وفقًا لمؤشر التنمية البشرية 2023/2024

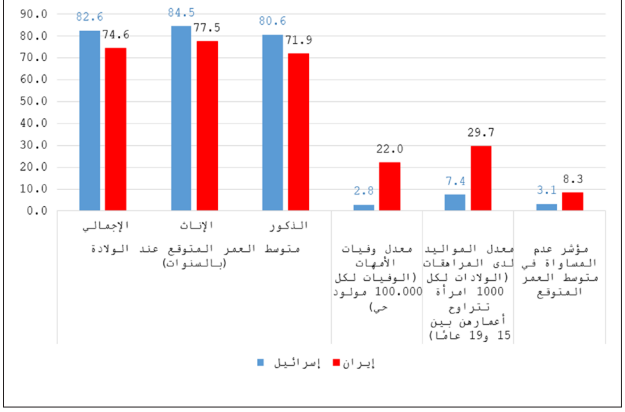

قيمة عدد من المؤشرات الفرعية لمحور التعليم بإسرائيل وإيران وفقًا لمؤشر التنمية البشرية 2023 / 2024

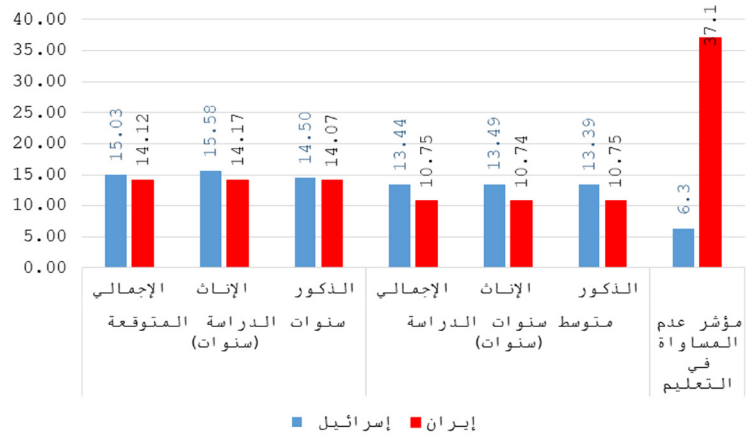

قيمة عدد من المؤشرات الاقتصادية الفرعية بإسرائيل وإيران وفقًا لمؤشر التنمية البشرية 2023 / 2024

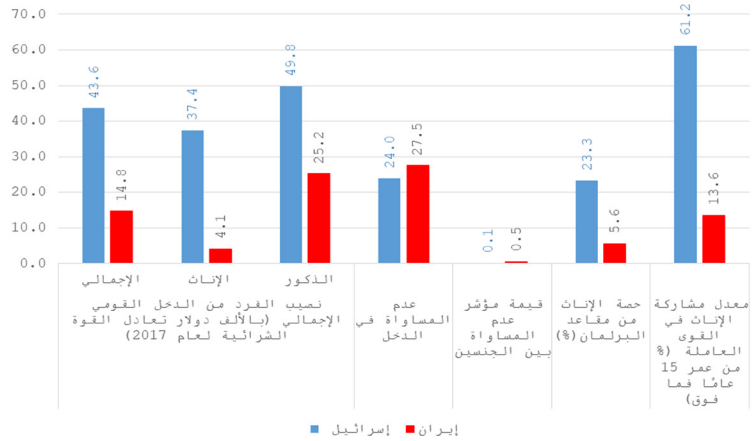

يسعى المركز "المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية"، الذي أُسس في عام 2018 كمركز "تفكير" مستقل؛ إلى تقديم الرؤى والبدائل المختلفة بشأن القضايا والتحولات الاستراتيجية، على الصعيد المحلي والإقليمي والدولي على حد سواء. ويولي اهتمامًا خاصًّا بالقضايا والتحولات ذات الأهمية للأمن القومي والمصالح المصرية.

يستهدف المركز دوائر صنع القرار، بإمدادها بالخيارات والبدائل عند التعامل مع التحديات والقضايا الداخلية والإقليمية والدولية، وكذلك الباحثين والمتخصصين في الشئون السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والأمنية، داخل مصر وخارجها. ويرمي المركز من خلال خدماته المختلفة إلى المساهمة في تنوير وترشيد الجدال والرأي العام في مصر وإقليم الشرق الأوسط، ونشر قواعد التفكير والبحث العلمي.

ويقوم المركز بمجموعة من المهام، والأنشطة، والخدمات المتنوعة، تشمل: تقديرات المواقف، وأوراق السياسات، وعقد ورش العمل والندوات والمؤتمرات، إلى جانب عددٍ من الإصدارات الشهرية باللغتين العربية والإنجليزية، فضلًا عن الموقع الإلكتروني للمركز الذي يتضمن سلسلة من التحليلات لمختلف التطورات على الساحة المصرية، والساحتين الإقليمية والدولية، ونشر إنتاج البرامج البحثية المختلفة.

البرامج والأقسام

يُمارس المركز رسالته من خلال ثلاثة برامج بحثية أساسية، هي:

أولًا- برنامج العلاقات الدولية: ويُعنَى بدراسة التحولات الدولية الأبرز على الساحة الدولية، وعلى مستوى إقليم الشرق الأوسط، خاصة ذات الطابع الاستراتيجي، وتأثيرها على المصالح والأمن القومي المصري، وذلك في مختلف الأقاليم الجغرافية. ويضم البرنامج مجموعة من الوحدات المتخصصة، منها: وحدة الدراسات الأمريكية، وحدة الدراسات الأوروبية، وحدة الدراسات الآسيوية، وحدة الدراسات الإفريقية، وحدة الدراسات العربية والإقليمية.

ثانيًا- برنامج الأمن وقضايا الدفاع: ويحلل قضايا الأمن القومي بأبعاده المختلفة، ويضم العديد من الوحدات، منها: وحدة الأمن السيبراني، وحدة التسلح، وحدة التطرف، وحدة الإرهاب والصراعات المسلحة.

ثالثًا- برنامج السياسات العامة: ويُعنَى بدراسة القضايا والتحولات ذات الصلة بالسياسات العامة داخل مصر من خلال مجموعة من الوحدات المتنوعة، منها: وحدة الاقتصاد ودراسات الطاقة، وحدة دراسات الرأي العام، وحدة دراسات المرأة وقضايا الأسرة.

وتتسم الوحدات البحثية بدرجة من المرونة، بحيث تعكس الأجندة البحثية المعتمدة من جانب المركز خلال فترة زمنية محددة، وفقًا لتقييم موضوعي للواقع الراهن على الأصعدة المختلفة (المحلي، والإقليمي، والدولي)، وأنماط التحديات والتهديدات القائمة.

وإلى جانب البرامج البحثية، يضم المركز "المرصد المصري" لأهم القضايا التي تشغل الرأي العام، المصري والعالمي، بالإضافة إلى تقديم متابعة دقيقة تحليلية متخصصة لقضايا بعينها تشغل صناع القرار في الشرق الأوسط والعالم. وكذلك "مدونة" لشباب الباحثين والكتاب من خارج المركز، من مختلف الجنسيات، للتعبير عن رؤاهم وطرح أفكارهم فيما يخص الأحداث المتسارعة من حولهم.

جميع حقوق الملكية الفكرية محفوظة ونافذة للمركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

للتواصل والمعلومات:

100 شارع الميرغني – مصر الجديدة – القاهرة

+20226905863 | +20226905862 |+20226905861

/ecsstudies

100 شارع الميرغني، مصر الجديدة، القاهرة، مصر
www.ecss.com.eg

ecsstudies

الهاتف: 20226905861+ 2+0226905862 2+0226905863
البريد الإلكتروني: info@ecss.com.eg